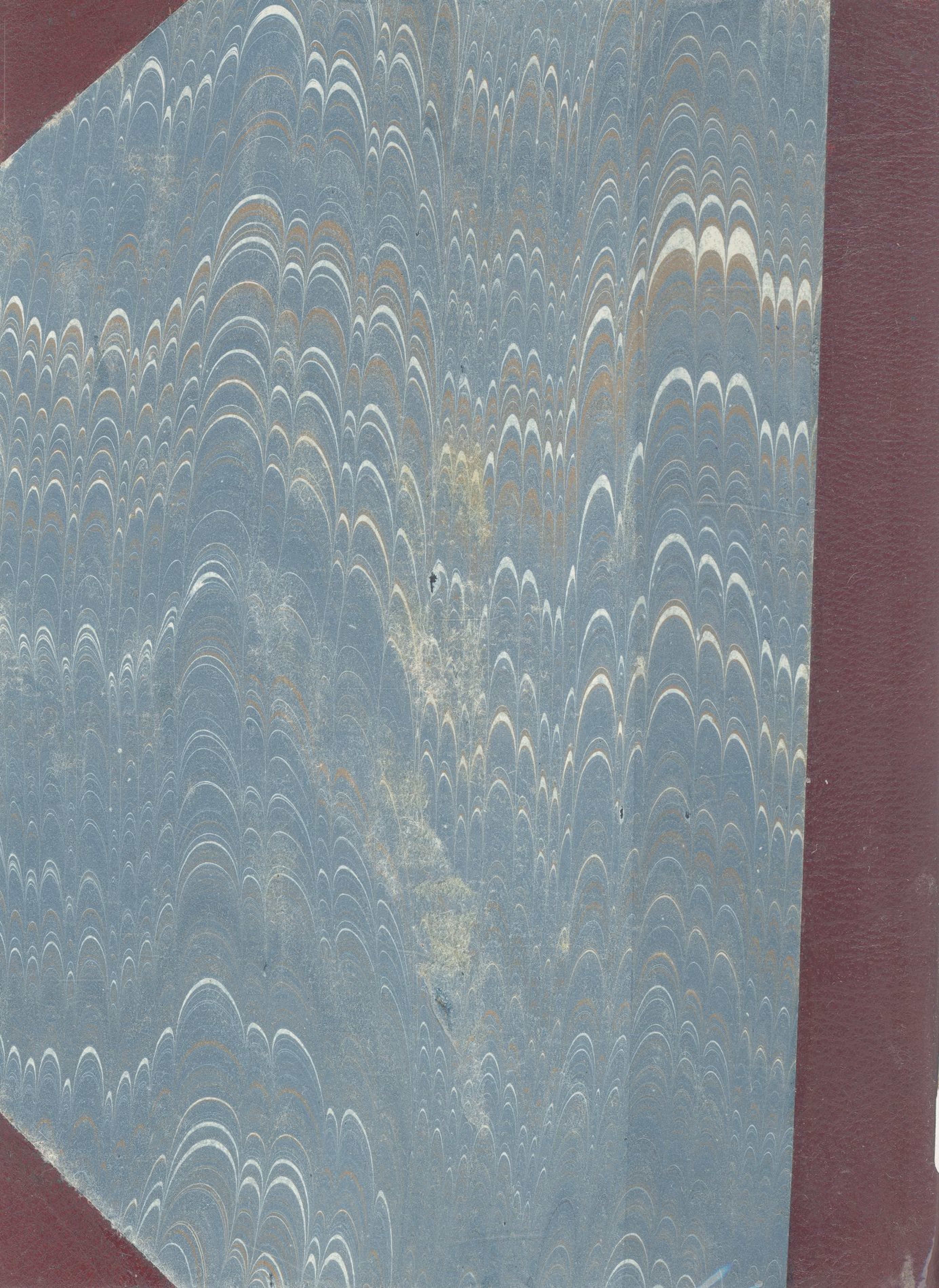
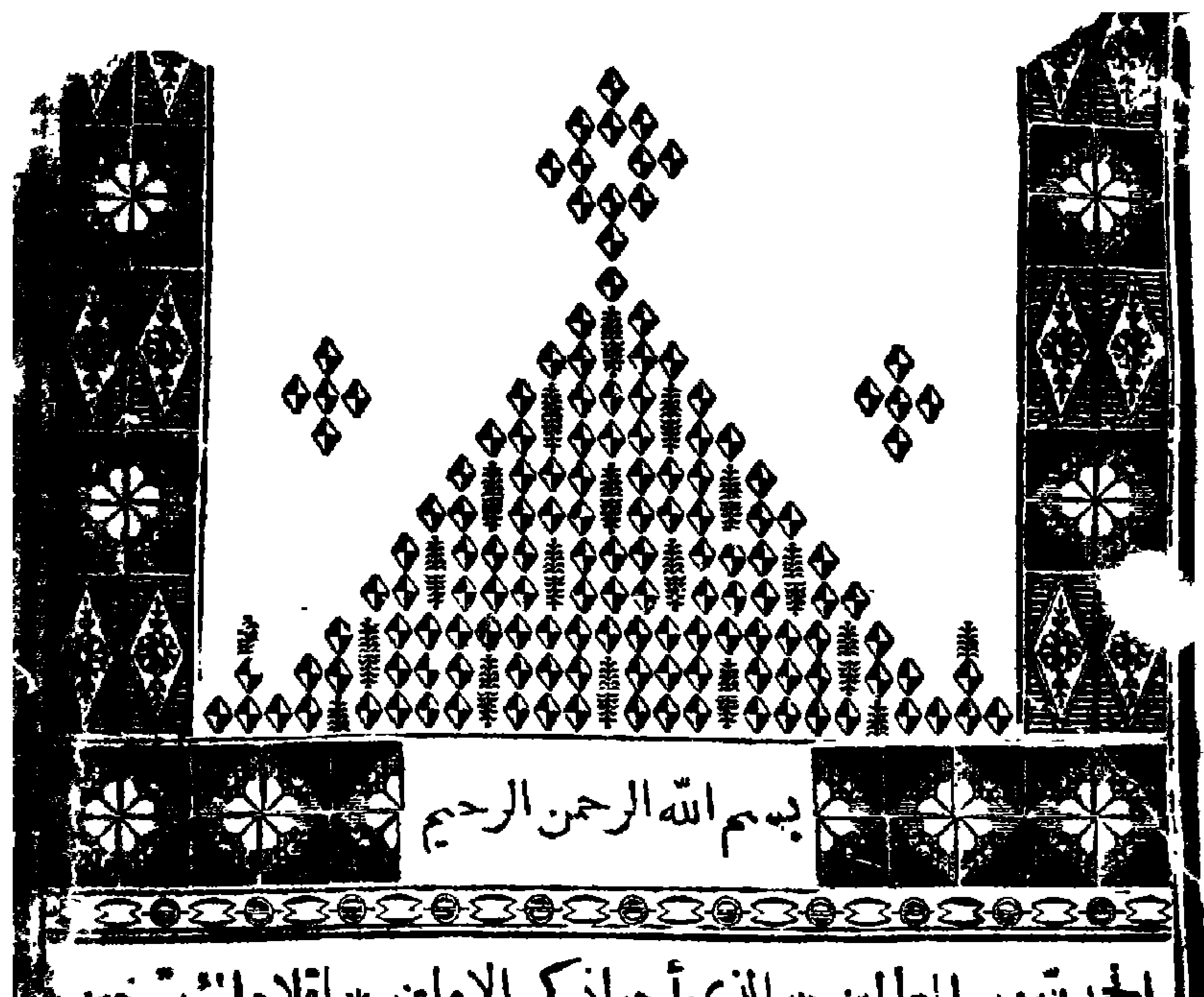


المناقب الابراهيميه
والمآثر الخديويه

تأليف عزتلو اسكندر بك ابكاريوس

بمعاونة جناب الهمام الماجد * من اتصف بالمكارم والمحامد * عزتلو محمد افندى مكاوى المحترم * عفى الله عنهما وأدام لهما العز والنعم

اعادة طبعه محفوظة لامر جناب محمد افندى المشار اليه



الحمد لله رب العالمين * الذي أحيا ذكر الاولين * باقلام المؤرخين
وجعل سير الملوك والسلاطين * تذكارا للمتأخرين * على مدى
الايام والسنين * والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين *
(وبعد) فيقول العبد الضعيف * صاحب هذا التأليف * انه اذ
كانت الحوادث المصريه * المتعلقة بالعائلة المحمدية العلويه * في
مصر واقطار سوريه * لم تجتمع قبل الآن * في كتاب ولا ديوان * حتى
...صر * الذي ألفه الجبرتي واشتهر في هذا العصر

حررت

جردت نفسي لالتقاط اخبارها * وجمعت من محاسنها ونوادر آثارها
* كل ماراق وطاب * واودعتها هذا الكتاب * واضفت اليه
وقائع المرحوم المبرور * صاحب الفضل المشهور * والصيت الحميد
المشكور * البطل الهمام * وعلم الاعلام * الرفيع المقام * وزينة
الليالي والايام * من ذلت لديه ليوث الآجام * وخضعت له فرسان
المعارك والصدام * ابراهيم باشا فخر الانام * وسائر وقائعه في بر
الترك وقطر الشام * ومارأت الناس منه من البطش والاقدام *
والحلم وعدالة الاحكام * والحكمة والسياسة * والنباهة والفراسه
والمهابة والكرامه * والعفة والاستقامه * والرقة والوداعه *
والفصاحة والبراعه * والجود والكرم * وعلو الهمم * ولطافة
الذات * ومحاسن الصفات * الى غير ذلك مما يستحق الاعتبار *
وتتزين به صدور الاسفار * فجاء بحمده تعالى كتابا نفيسا جليلا
وتاريخا مفيدا جميلا * يلتذ بمطالعته القارى والسامع * ويأخذ
بمجامع القلوب والمسامع * نظرا الى ما تضمنه من لطائف الاخبار
وما حواه من براعة السجع ومحاسن الاشعار * ولما تم واكتمل *
على طبق الامل (سميته المناقب الابراهيميه * والمآثر الخديويه)
وقسمته الى عدة أبواب * ضمنتها فحوى الكتاب * وكان ذلك بعد ا
جناب الاديب البارع * والبدر المنير الساطع * من باهى وا
وشاع فضله واشتهر * فريد العصر * والمحمود بالسنة أه

أعنى به الفاضل اللوذعى * والكامل الالمعى * معدن الجود والكرم ورب السيف والقلم * عزتلو محمد أفندى مكاوى المحترم * فانه أعاننى فى وضعه وترتيبه * وبذل الجهد البليغ فى تنقيحه وتهذيبه * حفظه الاله المتعال * بمزيد العز والاقبال * على مدى الايام والاجيال

(الباب الاول)

فى أوصاف صاحب الهمة العليه * والمآثر الباهرة السنيه * محمد على باشا وولايته على الديار المصريه

(الباب الثانى)

فى وصف نجله الكريم * سمى الخليل ابراهيم

(الباب الثالث)

فى مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهاديه لمغالبة الديار الشاميه

(الباب الرابع)

فى حصار مدينة عكا وفتح أساكل عربستان * واستيلاء ابراهيم باشا على جبل لبنان

(الباب الخامس)

[illegible] ـينه * وهدم ابراجها وقلاعها المتينه

(الباب

والنظام * وما اتفق لحضرته في بيروت * مع رجل من ذوى البيوت *
وحسن معاملته لسيدى المرحوم الوالد كفانى الله شر العدو والحاسد

(الباب الثانى عشر)

في تمرد دروز حوران * وانقيادهم الى الطاعة بعد العصيان

(الباب الثالث عشر)

حرب نزب

(الباب الرابع عشر)

في خروج الحكومة المصريه * من البلاد السوريه * بعد حروب
هائلة قويه * وانتقال محمد على باشا وابراهيم باشا الى رحمة رب البريه

(الباب الخامس عشر)

في مآثر حضرة الاميرة الكريمه * والدرة اليتيمه * ذات
الافضال العميمه * والآراء الصائبة المستقيمه * قرينة ابراهيم
باشا الفخيمه * وجدة جناب ولى النعم * مولانا توفيق باشا الخديو
المعظم * أيد الله مجدها وتوفيقها * وجعل السعد خادمها ورفيقها

(الباب السادس عشر)

في ولاية حضرة عباس باشا وهو الخديو الثالث * وذكر
ما جرى في أيامه من الوقائع والحوادث

(الباب السابع عشر)

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع * وما اجراه فى الديار المصريه من الاصلاحات ذات الفوائد والمنافع

(الباب الثامن عشر)

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشان * نجل المرحوم المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

(الباب التاسع عشر)

ذكر ولاية حضرة مولى الموالى * وصاحب القدر العالى محمد توفيق باشا الخديو الحالى * أطال الله أيامه بالعز والاقبال * على مدى الدهور والاجيال

(الباب العشرون)

ذكر الامراء المصريه * أرباب المناصب السنيه

اقول وهذه الابواب * هى خلاصة مضمون هذا الكتاب * وقد ذكرت فيها أهم الحوادث المتعلقة بكل باب

(الباب الاول)

فى أوصاف صاحب الهمة العليه * والمآثر الباهرة السنيه * محمد على باشا وولايته على الديار المصرية

وكانت الديار المصرية * فى زمن المماليك البحرية * وهى الحكومة الكولانية * عديمة الانتظام * من جور الولاة والحكام * الذين استولوا على البلاد * واضروا بالعباد * فاندثرت مبانى علومها * واندرست معالم رسومها * من كثرة المظالم * والضرائب والمغارم * التى لا يستوفيها قلم كاتب * ولا يحصيها رقم حاسب * ومازالت فى انحطاط واختلال * الى ان خرجت من تلك الحال * وبلغت الى أعلى درجة من التمدن والكمال * فى أيام حضرة الخديو المعظم * والداورى المكرم المفخم * انموذج الفخر والجاه * محمد على باشا طاب ثراه * الذى لم يوجد الزمان مثله * ولم يحك أحد فضله *

شعر

عزيز سما فى مجده وصفاته * له فوق هام الفرقدين منازل

به تفخر الايام والمجد والعلا * وكل مديح لم يكن فيه باطل

وكان مولد هذا البطل الهمام * والليث الباسل الضرغام * بمدينة قوله من بلاد الارناؤط * وهى مدينة شهيرة فى تلك الحدود والخطوط * وذلك سنة ألف ومائة وثلاث وثمانين هجريه * الموافقة سنة ألف وسبعمائة وتسع وستين مسيحيه * ومات أبوه وهو صغير * فتوكل به أحد الذوات المشاهير * وكان بينه وبين أبيه محبه * ومودة قديمة وصحبه * فاعتنى به وربّاه * واحسن اليه وداراه * وكان عنده كالولد المحبوب * وأعز من يوسف عند يعقوب * فنشأ شابا نجيبا *

حازما

حازماً أديباً * شجاعاً مهيباً * لا يقدّر العواقب * ولا يخشى حلول النوائب * وكان يصاحب الابطال * ويلقي نفسه في الاخطار والاهوال * أملاً بالارتقاء وبلوغ الآمال * ولقد أجاد من قال

بقدر الكدّ تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي

ومن طلب العلى من غير كدّ * أضاع العمر في طلب المحال

ومازال على تلك الحال * ونجمه في سعود واقبال * حتى تغلبت الفرنساويه * على الديار المصريه * سنة ١٧٩٨ مسيحيه * في زمن حضرة ساكن الجنان * السلطان سليم خان * فلما اخذوا بزمامها * واستقلوا بتدبير أحكامها * أرسل السلطان سليم * الاوامر والمراسيم * الى ولاة الاقاليم * يحثهم بالنهوض والقيام * والمبادرة لقتال الاخصام * ونودي بالنفير العام * في بلاد الاسلام * فهاجت الشبان * في كل جهة ومكان * واجتمع في قطر الشام * لهذا القصد والمرام * عالم لا يحصى ولا يرام * غيرة لنصرة الدين * وطرد عساكر الفرنساويين * فقصدوا مصر القاهره * امتثالاً للاوامر الصادره * وكانت الدولة الانكليزيه * قد اتحدت مع الدولة العثمانيه * لمحاربة الجيوش الفرنساويه * واخراجهم من الديار المصريه * بالقوة الحربيه * وأرسلت عمارة بحريه * الى بوغاز الاسكندريه * مشحونة بالعساكر والمهمات الحربيه * فكتب حضرة السلطان * الى ولاة أساكل عربستان * يعلمهم

بذلك الاتحاد * ويحرضهم على الحرب والجهاد * وانه مهما امر عليهم من قباطين الانكليز * الراسين بالمراكب على الثغور والبواغيز * يقدمون لهم الاكرام * ومزيد الوقار والاحترام * وهذا مضمون الكتابة الصادرة * المؤرخة في ٩ جمادى الآخرة سنة ٢١٣ بعد الالف

انه لا يخفى عليكم ان الجيوش الفرنساويه * قد هجموا على الديار المصريه * ودخلوا مصر القاهرة وما يليها * واستولوا على بافا وغزة والرملة ونواحيها * ومرادهم ان يبيدوا امة الاسلام * و يتغلبوا على الممالك بالتمام * والآن حضرة المحب المعظم * سلطان الانكليز المفخم * المجتمع معنا باخلاص الطويه * على قتال الطائفة الفرنساويه * لفرط محبته * ووفور مودته * قد تكرم وجاد * وقضى حق الوداد * وسير من لدن حضرته الملوكيه * عمارة انكليزيه * مع العمارة العثمانيه * تحت لواء افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحيه * وعظيم الكبراء الفخام في الامة العيسويه * جناب محبنا المحترم * السار وليم سدني سميث الاكرم * وقد فوضناه التفويض التام * لاجل هذا القصد والمرام * ليدبر امور تلك الديار * بحسن السياسة والاختبار * فليعلم كل منكم تفويض محبته من لدنا في سائر الاقطار * ومهما امر عليكم من

مراكبه واتباعه فقدموا لهم مزيد الاعتبار * والاكرام والوقار *
وليكن معلوم الخاص والعام * صداقتهم مع الاسلام * واتحاده
معهم على حرب الفرنساويه الاخصام * اعلموا ذلك واعتمدوه غاية
الاعتماد والسلام
وكان محمد على * صاحب الجاش القوى * قد نهض نهضة الاسد *
واتحد مع شجعان ذلك البلد * وانضموا مع ذلك الجيش العرمرم *
وساروا الى مصر بمعية الصدر الاعظم * فحارب فى تلك الوقائع *
واشتهر بالشجاعة فى هاتيك المعامع * وامتاز على الاقران *
وانتظم فى سلك الفرسان * وفى مدة قصيره * وأيام يسيره * انتشر
ذكره * وشاع أمره * وصار ذا كلمة نافذة * عند الاعيان والجهابذه
واكابر الاشراف والاساتذه * واستمرت الحروب بين الفرنساويه *
والدولة العثمانيـة والانكليزيه * مدة مديده * وجرى بينهم
وقائع عديده * الى ان آل الامر * الى خروج الفرنساويه من مصر
تحت شروط معلومه * وروابط مفهومه * وكان الصدر الاعظم
قد أنعم وجاد * قبل رحيله من تلك البلاد * على محمد خسرو باشا
بولاية الديار المصريه * وأمره ان يرفق بالرعيه * ويجعل مركزه فى
القلعة السلطانيه * حسب الايام السالفه * بدون مناقضة ولا
مخالفه * ومازال محمد على يتقدم فى المراتب * و يرتقى فى الوظائف
والمناصب * حتى صار فى رتبة عليه * ومنزلة رفيعة سنيه * وكان قد

صهم العزم * واخذ بالسداد والحزم * على ان يمهد ايامه للقبض على زمام الملك * وينظم الاحكام على أحسن سلك * فأخذ ينفق الاموال * على الفرسان والابطال * ويستجلب خواطر الناس * أهل الشوكة والباس * ويستميلهم اليه باللطف والايناس * حتى استعبدهم بطيب الخلق * وحسن السريرة واللين والرفق * فكانوا يحبونه ويكرمونه * ويميلون اليه ويحترمونه * ويتمنون له النجاح وبلوغ الارب * والارتقاء الى أعلى درجات الرتب * وكانت شوكة مماليك الغز * قد انكسرت بعد ذلك الاقتدار والعز * لانهم كانوا في سالف العصر * قبل دخول الفرنساوية الى مصر * اصحاب النهي والامر * وبأيديهم مقاليد الامور * ونظام الجمهور * ومحافظة الحدود والثغور * وكانت الناس تهابهم مهابة عظيمه * نظرا لشوكتهم القوية وسطوتهم الجسيمه * لاسيما في زمن أميرهم الشهير * المدعو على بك الكبير * فانه كان قد أظهر العصيان * وخلع طاعة السلطان * وضرب باسمه السكه * ونفى وزير الدولة الى مكه * وتسلم زمام القلعه * والبس الوجاقات السبعه * واستبد بتدبير الاحكام * واطاعه الخاص والعام * وصفا له الوقت وراق * وانتشر صيته في الآفاق * وحدثته نفسه ان يسطو على الشام والعراق * ويعيد الى مصر دار السلطنه * كما كانت في سالف الازمنه * وكان له مزيد الفخر والاعتبار * في تلك الديار * حتى

كان يخطب له يوم الجمعة على المنابر * ولم يكن للدولة من حكم مصر
فى أيامه الا مجرد الاسم الظاهر * ولما صفت للدولة العليه *
أحكام الديار المصريه * بعد رحيل الفرنساويه * صدر أمرها
العالى * الى محمد خسرو باشا الوالى * ان يبادر فى الحال * بالجنود
والابطال * الى قتال المماليك المذكورين * والفجرة المعتدين *
و يضع السيف فيهم * و يلاشيهم عن بكرة أبيهم * حتى تنطفى
اخبارهم * وتمحى آثارهم * وكان بينهم قائدان * وهما من أكابر
الاعيان * قد اتصفا بالشجاعة وقوة الجنان * أحدهما يدعى
عثمان بك البرديسى * والاخر محمد بك الالفى * فلما اتصل بهما هذا
الخبر * وكان قد شاع واشتهر * أخذا فى الاستعداد * للمدافعة
والجلاد * فجمعا الاحلاف والاحزاب * وانحاز اليهما الاعوان
والاصحاب * حتى صارا فى جم غفير * وعدد كثير * ونهضا لمقاومة
الوزير * وكان الباشا قد جهز لقتالهما جيشا عرمرما * وقدم
عليه قائدا جليلا معظما * فاستظهرا عليه وكسراه * وهزما جيشه
وفرقاه * وكان محمد على الاسد الغضنفر * من جملة ضباط العسكر
* تحت رياسة القائد الاكبر * فاستشاط القائد حنقا وغضبا *
واتهم محمد على بانه كان لتلك الكسرة سببا * ثم وقعت بينهما
المنافره * وأدت الى الخصام والمشاجره * وكان ذلك القائد يعهد منه
الطمع فى الاستيلاء على تخت القاهره * فاجتمع بالوالى * فى بعض

الليالى * وعند امكان الفرصه * قص عليه تلك القصه * قائلا ان فلانا * قد اتخذ له أحزابا واعوانا * وهو كل يوم فى همة وحركه * وقصده استخلاص المملكه * ومازال يقدح فى حقه بزناد شتمه * ويمزق سترحرمته بمخالب ذمه * حتى أوغر صدره عليه * واستدعاه ليلا اليه * وكان قد صمم النية * على ان يلقيه فى أشراك المنيه * وبلغ محمد على الخبر * وأخذ لنفسه الحذر * وحاول تلك الليلة ولم يحضر * وفى اليوم الثانى * لم يمكنه التوانى * فنهض بالعجل * خوفا من حلول الاجل * وانحاز اليه كل شجاع وبطل * وانضم الى جماعة المماليك البحريه * واتحد مع عثمان بك وعصبته القويه * وجاهر الوالى بالعصيان * واستعان بمن تعصب معه من الشجعان * فبادر الباشا لقتاله * بجنوده ورجاله * فلقاه محمد على بابطاله * واسوده وأشباله * فاعانه الله ونصره * وقبض عليه وأسره * وكسر جيشه وعسكره * وكانت هذه الكسرة والنصره * فى سنة ألف ومائتين وثمانى عشرة * من سنى الهجره * ولما بلغت هذه الحوادث * مسامع السلطان سليم الثالث * عظم عليه ذلك الامر * وأرسل على باشا الجزائرى الى مصر * ليجلس مكان محمد خسرو باشا * ويقبض على العصاة ويتصرف بقصاصهم كيفما شا * وعند وصوله الى هناك * أخذ يحتال على المماليك والارناؤط ليلقيهم فى شرك الهلاك * فخلعوا طاعته وخذلوه * ثم حاربوه وقتلوه * وبعد ذلك

بايام * وقع النزاع والخصام * بين محمد بك الالفي * وعثمان بك البرديسي * رغبة في السياسة * وطمعا بنوال الرياسه * فعادى بعضهما بعضا * وازداد احسدا وبغضا * وكان لعسكر الارناوط مال مكسور * عند عثمان بك المذكور * منذ ثمانية شهور * فلما رأوا ضعف حاله * وقلة أنصاره ورجاله * طالبوه بالرواتب والجوامك * وشددوا عليه في ذلك * باتفاق محمد على ليث المعارك * واذ لم يكن له قدرة على مقاومتهم * ولا طاقة في دفع مصادمتهم * اضطره الحال ان يوزع المال * على أكابر البلاد * ليرضي العساكر والقواد * فلم يجيبوه الى طلبه * ولم يكترث أحد به * ولما خاب أمله * وضاقت حيله * انحصر في داره * في جماعة من انصاره * فوفدت عليه العساكر والاغاوات * وأحاطوا بقصره من جميع الجهات * في طلب الرواتب والنفقات * وكذلك فعلوا بغيره من البكاوات * وأكابر المماليك أرباب الولايات * وبقي عثمان بك في منزله بضعة أيام * وهم يترددون اليه بالتهديد وطلب الانتقام * الى ان ساعدته الفرص * ففر من بين أيديهم كما يفر العصفور من القفص * وقصد بلاد الصعيد * وانكسر عزمه الشديد * واذ كان محمد على قد حصل على صداقة العلماء ومحبة الاهالي * ارتقى بهذه الواسطة الى ان يكون هو الوالي * وفي اثناء ذلك اجتمعت الاكابر العمد * وأقاموا محمد على قائم مقاما على

البلد * وأرسلوا محمد خسرو باشا الى القسطنطينيه * وولوا مكانه رشيد باشا محافظ الاسكندريه * ولقبوه نائب الحضرة السلطانيه * على الديار المصريه * ولم يمض الا زمن يسير بعد هذه الحركه حتى توفى عثمان بك ومحمد بك وصفت لمحمد على ولاية المملكه * ولما بلغ مسامع حضرة السلطان هذا الخبر * أخذه القلق والضجر * وزاد به الغم والكدر * وأمر مصطفى باشا باش قبطان * ان يسير الى مصر من غير توان * ويدارك بحسن التدبير والاهتمام * ما اختل هناك من النظام * وأصحبه بفرمان * الى محمد على باشا العظيم الشان * يأمره بالتوجه الى ولاية سالونيك * وان يصير تسليم مصر الى أكابر المماليك * بشرط ان يدفعوا في كل سنه * خمسة آلاف كيس الى خزينة السلطنه * فأجاب وامتثل * وسار على عجل * بجنود كافيه * وسفن حربية وافيه * وعند وصوله الى مصر * شرع في ذلك الامر * فلم تقبل ذلك أكابر البلاد * ورؤساء العساكر والقواد * وتوجه منهم العلماء والاعيان * وأكابر الجند والاركان * وقصدوا ذلك الوزير المشار اليه * فدخلوا وسلموا عليه ومثلوا بين يديه * فالتقاهم بالبشاشة والترحاب * وآنسهم بالحديث والخطاب * وجاراهم بالسؤال والجواب * فقالوا له بصدق لسان * انا عبيد الله ورعايا السلطان * ومهما برزت به الاوامر الشريفه * والمراسيم السامية

المنيفه

المنيفه * نتلقاه بالقبول والامتثال * ونسلك بموجبه فى الحال * الا فى هذا الامر الفظيع * فانا لا نسمع ولا نطيع * لانه كما لا يخفى على معاليك * ان جماعة المماليك * هم مصدر الظلم والفساد * فى هذه البلاد * وقد أهلكوا بجورهم العباد * فلا يوجد بينهم من يصلح للرياسه * ولا من يعتمد عليه فى الاحكام والسياسه * ثم أخذوا يثنون * على محمد على و يطنبون * و يصفونه بالفضائل * وحسن الشمائل * وانهم لا يقبلون واليا غيره على الاطلاق * نظرا لما فيه من اللياقة والاستحقاق * وعلو الهمم ومكارم الاخلاق * فلما رأى شدة ميلهم اليه * واعتمادهم دون غيره عليه * أجابهم الى مطلوبهم * ولبى دعوتهم كرغوبهم * وانهى فيه الى الباب العالى * حسب التماس الاهالى * فصدرت الاوامر السنيه * والارادة السلطانيه * من ديوان القسطنطينية * بتقريره على ولاية الديار المصريه * وذلك سنة الف ومائتين وتسع عشرة هجريه ولما تمكنت دولته * وامتدت صولته * واستقرت له الولايه * و بلغ القصد والغايه * بدد دولة المماليك لراحة العباد * وسعى فى اصلاح البلاد * بعد ذلك الفساد * فمهد ثغورها وامصارها * وأمن سبلها واقطارها * وأبطل ما كان فيها من المظالم * وقمع شوكة كل باغ وظالم * وأصلح الاحكام والقضايا * وجعل التسوية بين الرعايا * ورتب فيها التعليمات العسكريه * و بنى الترسخانات البحريه *

والسفن الحربيه وأسس فيها المدارس والمطابع * وجددما كان مندرسا من الفنون والصنائع * وصيرها وطن الآداب والمعارف * وكعبة يجبي اليها انفائس التحف واللطائف * فابتهجت بطلعته أقطار البلاد * وقرت به أعين العباد * شعر

قرت به عين الانام مسرة * وكل غدا يبدى الثناء له جهرا
فذا رافع كفا وذا باسط يدا * وذا ناشر حمدا وذا ساجد شكرا

و بالحقيقة ان هـذا العزيز * يستحق ان تسطر مناقبه بالذهب الابريز * لتخليد ذكره فى تلك الديار * على طول الدهور والاعصار حسبما جرت به عادة الملوك الكبار * اصحاب الشوكة والاقتدار * الذين طار صيتهم فى الاقطار * وفتحوا المدن والامصار * لانه لم يكن دون الاسكندر الكبير * أوسيزوستريس الشهير * فى الشرف والفخار * ورفعة المقام والاعتبار * ولا فى الفضائل وكثرة الآثار * لان هذين الملكين * والسلطانين العظيمين * تقلدا زمام السلطنه * وحصلا على مزيد الفخر فى تلك الازمنه * بدون أدنى تعب * ولا مشقة ولا نصب * وانما كان ذلك الشرف * يتناوله الخلف عن السلف * وأما حضرة ساكن الجنان * محمد على باشا العظيم الشان * فانه تبوأ أسرة هذا المقام * بما كان عنده من الحزم والاقدام * وصدق النظر فى سياسة الاحكام * وقد ظهر مما تقدم * فضل هـذا الاسد الغشمشم * الذى عاد به للدولة

المصرية

المصرية شبابها * بعد ان كانت قد هرمت وهوت قبابها * وأخرجها من ذلك الظلام * ومتعها بالامن والسلام * ورتب أحكامها على أحسن هيئة وأكمل نظام * وجعلها من أشهر ممالك الدول * كما كانت فى زمن الفراعنة الاول * شعر

هكذا هكذا والا فلالا * من تسامى مجده واستطالا
ملك جل فى افتخار فامسى * للسلاطين قدوة ومثالا
آصفى علا على كل عال * بفعال تستغرق الاقوالا
قد دعوه العلى فخرا فقلنا * صدقوا ان شأنه قد تعالى
ودعوه محمدا وعليه الحمد من كل أمة قد توالى
عرفت مصر فضله فهى تثنى * كل يوم عليه ما الدهر طالا

وكان محبا للعلماء والنبلاء * يعز الادباء والفضلاء * يصغى الى كلامهم * ويبالغ فى احترامهم * مغرما بمطالعة أخبار الاولين * وسير الملوك والسلاطين * وكان ذوى الذكاء والمخيله * اذا عرضت له دعوى أو مسئله * لا ينساها أبدا * ولو طال عليها المدى * فتح اليمن وبلاد السودان * واستولى على عربستان * وحارب عبد الله باشا والى عكا وكسره * وقبض عليه وأسره * عن يد الاسد الكرار * والبطل المغوار * الذى افتتح المدن والامصار * وخضع له كل عنيد وجبار * صاحب الهمة العليه * والصولة الحيدريه * حضرة نجله الكريم * سمى الخليل ابراهيم * كما سيأتى بيان ذلك

في مكانه * وكان مع عظمته وعلو شانه * لطيف الذات * ظريف الصفات * متصفا بمكارم الاخلاق وعلو الهمة * ومعاملة الكبير والصغير بالمكارم والرحمه * لا يميز بين الغني والصعلوك * ولا يحابي المالك على المملوك * ومن اخباره اللطيفه * ونوادره الغريبة الظريفة * انه مر في بعض الاحيان * بصبيان يلعبون في بستان * فلما رآهم وقف ينظر اليهم * و يتفرج عليهم * فبينما هم يلعبون بعضهم مع بعض * اذ وقع طربوش أحدهم على الارض * وكان الطربوش رثيثا حقيرا * لان الولد كان مسكينا فقيرا * فاقتحم الصبي ليتناوله * فالتقطه محمد علي بعجن كان في يده وتناوله * وقابل الاولاد بوجه بشوش * وقال من يشتري هذا الطربوش * فاقبل الغلمان اليه * وجعلوا يتزايدون عليه * فقال الغلام لا أبيعه الا بمائة دينار * ولا أنقصه شيأ عن هذا المقدار * فالتفت الى الولد وقال يا العجب * ماهذا الطلب * فقال ياصاحب المنة الجسيمه والمنزلة الرفيعة العظيمه * ان الطربوش الذي يكون دلاله محمد على باشا لا يكون باقل من هذه القيمه * فعجب من خطابه * وسرعة بديهته في جوابه * وقال لقد قلت حقا * ونطقت صدقا * وأمر له بمائة دينار * وقال استعن بها على ما تختار * ومما قيل * من هذا القبيل * ان رجلا من أهل البصره * يقال له الدرويش أميني وقف امامه مره * فأمر له بالف من الفضة يستعين بها على شانه * فاخذها

ومضى وهو مستخف باحسانه * ثم عاد فى اليوم الثانى اليه * ووقف
بين يديه * فأمر له بمثل ذلك القدر * فأخذه وشكر * ثم عاد فى اليوم
الثالث فضجر منه * وأعرض بوجهه عنه * فقال الدرويش أطال
الله بقاك * ورفع مجدك وسناك * انى رجل فقير * ضعيف الحال
حقير * قد قصدت جنابك * ويممت بابك * طمعا باحسانك
ونوالك * وجزيل كرمك وافضالك * لعلمى بانك كهف الفقراء
وملاذ الغرباء * ومحط الرحال * وغيث النوال * وكعبة الآمال *
وقد ضجرت منى وانتهرتنى * واعرضت وجهك عنى واحتقرتنى *
لانك اعطيتنى خمسين غرشا فى ترددى عليك ثلاث مرتين * فاجعلنى
مكانك وتردد على فى الساعة مرتين * وأنا أعطيك كل مرة ألف
غرش * يتبعها بعض امتعة من نفائس الملابس والفرش * فتبسم
ضاحكا من هذا الكلام * وأمر له بثلاثة آلاف غرش على التمام *
فتوجه منشرح البال * منبسط الآمال * وهو يدعو له بطول العمر
والبقاء * ودوام العز والارتقاء * وبالجملة والتفصيل * فانه كان
من افراد هذا الجيل * ليس له شبيه ولا مثيل * أقام معامل كبيره *
وابنية شهيره * وجوامع كثيره * منها جامع تربته الذى أنشأه
بالقلعه * وأتقنه باحسن أنواع الصنعه * وهو أشهر من ان يذكر *
بفوق أياصوفيا بحسن المنظر * قد حلاه باعظم أنواع الزينه * من
نفائس الانسجة والذخائر الثمينه * التى تدهش عقول المتفرجين

* وتذهل عيون الناظرين * واقام له منارتين عظيمتين * فى الجو شاهقتين * ورصع أرضه بالمرمر * من الابيض والاحمر * ووضع فيه الساعة الفاخره * التى يسمع دقها أكثر أهل القاهره * بنى مساجد القطر وجددها * ورتب لها أوقافا وحددها * وجعل لكل جامع قدرا معلوما من الاطيان * تخلدا على طول الزمان * معفوا من الاموال والعشور * فياله من عمل محمود مشكور * وابتنى فى الحرمين التكايا للصدقات * ورتب لها ما يلزم من النفقات * ومحا آثار الكولمان * أهل البغى والعدوان * أبادهم بالمكيدة والحيله اذ جعل سفر ولده طوسون الى الحجاز وسيله * فاعدلهم وليمة فاخره * داخل قلعة مصر القاهره * واستدعاهم للحضور والاجتماع * على سبيل الضيافة والوداع * وبعد حضورهم واجتماعهم * مع حواشيهم وأتباعهم * هجم عليهم العسكر * واذاقهم الموت الاحمر * ولم يسلم منهم أحد فى ذلك اليوم * سوى رستم كاشف وكان من شجعان القوم * فلما عاين البليه وعرف باطن الطويه * أيقن بحلول المنيه * فعمد الى حصانه * أسرع من البرق فى لمعانه * فركبه بالعجل * وقد استقتل * واقتحم السور * بقلب جسور * والقى نفسه من أعلى القلعه * وعند اقترابه من الارض وثب عن ظهر الجواد بكل خفة وسرعه * فنزل سالما وقتل الحصان * ونجا ذلك البطل بعناية الرحمن * فولى وهرب * خوفا من العطب * ثم ارتحل

من الديار المصريه * وقصد الاستانه العليه * وهو متنكر الهيئة واللباس * لا يكاد يعرفه أحد من الناس * ولما شاع أمره وظهر * استعظمه جميع البشر * وتحدثوا بقصته فى كل مكان * لانهم رأوها من عجائب الزمان * وبهذه الوسيلة اشتهر واغتنى * وبلغ القصد والمنى * وارتقى الى أعلى درجات المعالى * وصار من أعيان وزراء الباب العالى * فيا له من بطل * على هذا العمل * الذى لم يسبقه عليه انسان * من صناديد الفرسان * لعمرى انه عنترة زمانه وفريد عصره وأوانه * أقول و باندثار المماليك الفجار * عاد اقطر مصر العمار واليسار * بعد اندراس معالمه من سنين واعصار وصفت لمحمد على باشا الاحكام من ذلك النهار * فدان أهل مصر ورباهم * وأمن ديارهم ومأواهم * وساوى بين العدو والصديق وقطع دابر قطاع الطريق * لاسيما اشقياء سكة شبرا * التى هى الآن جنة خضرا * غرس بها الاشجار والبساتين * وانواع الازهار والرياحين * حتى صارت نزهة للناظرين * يقصدها الناس من كل فج * والسياحون من عرب واتراك وافرنج * قد فاقت بقصورها الاندلس فى غابر الزمان * وازدهت تيها على ابنية بارز وسائر البلدان * أقام بها الدور الشاهقة المزخرفه * والقصور الجميلة المستظرفه * التى تضاهى بارتفاعها الابلق * وتباهى غمدان والخورنق فى النزاهه وحسن الرونق * فكم له من محاسن ومآثر *

وكم بنى من جسور وقناطر * منها القناطر الخيريه * ذات المحاسن البهيه * أشادها ببناء محكم الاساس * يذهل عقول الناس * وضبط منافذها بحديد وثيق * لحفظ الماء لسقى المزروعات فى زمن التحاريق * وهى من أعاجيب الدنيا قل ولا تبالى * كأنما صفت عيونها بنظم كاللآلى * صرف عليها من الفرنكات خمسة واربعون مليون * وقال لسان الحال * (لمثل هذا فليعمل العاملون) * فعجز الاواخر عن اصلاح مابها من الخلل * وتحير فحول المهندسين فى اجراء مايوافق ذلك من العمل * فياصاح ناشدتك الرحمن * ادع له بالعفو والغفران * وحدث بما آثره الحسان * فى كل مكان * وهى مدينة قوله بهذا البطل الهمام * وقل لها افتخرى به على جميع الانام * وكن شاكرا جميله وفضله * ذاكرا حلمه وعدله * وكانت أيامه كالطراز المذهب * تعد من أيام الهنا والطرب * كثرت فيها التجارة والغنى * وبلغ الناس بها غاية المنى * واتسعت دائرة المعاملات * بين مصر وبقية الجهات * وازدحمت عليها الخلائق * من المغارب والمشارق * وازداد أهلها وسكانها * وارتفع قدرها ومكانها * وانتشر صيتها وشانها * وعاد اليها شبابها القديم * فى أيام هذا الخديو العظيم بعد ان كانت عجوزا عقيم * ومن آثاره الفخيمه * ومشروعاته العظيمه ذات المنافع الجسيمه * حفر ترعة الباجوريه * والباسوسيه والشرقاويه وترعة العطف والقليوبيه *

ولاسيما ترعة المحموديه * التى كانت تدعى بالاشرفيه * نسبة
الى الملك الاشرف * المنعوت بالفضل والشرف * وكانت
خليجا صغير اقدار تدم * وصار وجوده على تمادى الايام كالعدم *
فاعاده على أحسن طريقه * وجعله ترعة واسعة عميقه *
بحيث تسلك فيها السفن البخاريه * حاملة الركاب والبضائع
التجاريه * وبذلك اتصلت القاهرة بالاسكندريه * على أقرب
طريق وأسهل سبيل * بعد تلك المسافة الشاقة والمدى
الطويل * وقد اجتمع عليها من الفعلة والخدمه * أكثر من ثلاثمائة
ألف نسمه * وكان مدة حفرها نحو سنة وشهر * واكتسب بهذا
المشروع المفيد مزيد المدح والشكر * ومن مساعيه الخيريه *
سده الترعة الفرعونيه * التى كانت عديمة النفع * ومضرة باراضى
الزرع * وكان تتميم هذا العمل * بعيدا عن الامل * لالتزامه
تحويل جانب عظيم من النيل * عن مجراه العريض الطويل *
وبعد بذل الجهد * ومقاساة التعب والكد * انسدت على أحسن
اسلوب * وحصل المطلوب طبق المرغوب * جزاه الله خيرا على هذا
الاحسان * وجعل اسمه مخلدا على ممر الزمان

(الباب الثانى)

فى وصف نجله الكريم * سمى الخليل ابراهيم

ومن تمام سعده * واقبال عزه ومجده * ان الله تعالى رزقه أولادا

كراما * لم ترمق الالحاظ اشخاصا تضاهيهم رفعة ومقاما * وشجاعة واقداما * وآدابا وكمالا * وسعادة واقبالا * وحسنا وجمالا * وسماحة وافضالا وحزما وعزما * وفهما وحلما * ولطافة ووداعة وفصاحة وبراعة * منهم ابراهيم وهو أكبرهم * وطوسون وسعيد واسماعيل وحسين وحليم ومحمد على وهو أصغرهم * وكان ابراهيم اعظمهم وأشهرهم * وأشجعهم وأقدرهم * ولد فى مدينة قوله بعد زواج أبيه بسنتين * وكان متوسط القوام ممتلئ البدن أشهل العينين * مستطيل الوجه والانف * يعد فى الرجال بالف * اجش الصوت * لايهاب الموت * اذا الطم ليثا أعدمه * أو هاجم موكبا فرقه وهزمه * وكان مع هذا البطش والاقتدار * والمنزلة العظيمة المقدار * محبا لعسكره لا يميز ذاته عنهم * جاعلا نفسه فى الاسفار والحروب كواحد منهم * فكانوا يخضعون له تعظيما لمقامه واعتبارا * ويبذلون أنفسهم قدامه طوعا واختيارا * وكان أبوه يحبه ويميل اليه * ويعول فى أمره عليه * ويقلده أعظم المهمات * ومباشرة الحروب والغارات * لعلمه بحزمه * وشدة بأسه وعزمه * فسار فى أمر الافلج * ولاقصد حرب قوم الافار ونجح

(الباب الثالث)

فى مسير ابراهيم باشا بالعساكر الجهاديه * لمحاربة الديار الشاميه

وكان

وكان قد حدث فى تلك الايام * بين محمد على باشا و بين عبد الله باشا
والى عكا نفور وخصام * وكان عبد الله باشا المذكور * لا يركن
اليه فى أمر من الامور * عديم الوفاء * متقلب الآراء * لا يرعى عهدا
ولا يحفظ ودّا * عاكفا على الملاهى واللذات * مشغوفا بسماع
الاغانى والاصوات * وكان أبوه من مماليك أحمد باشا الجزار *
يقال له على أغا الخزندار * فساعدته يد العنايه * حتى تمكن من
الولايه * وطابت له الايام * و بلغ القصد والمرام * وكان دأبه
الاهتمام * باقامة العمار * وتحصين عكا بالابراج والاسوار *
وجمع الاموال من جميع الاقطار * وكان قد استولى عليها الطيش
واستخفه البطر وطيب العيش * حتى حاد عن الطريق المحمود *
وتجاوز فى الاحكام الحدود * واشهر العصيان على الدوله * ذات
الشوكة والصوله * أملا بالاستقلال * وطمعا فى الاموال * ولما
بلغ حضرة السلطان محمود خان * ما هو عليه من الهذيان * والتمرد
والعصيان * وارتكاب الظلم والعدوان * غضب من سوء فعاله *
وأرسل عسكر القتاله * تحت راية البطل الهمام * درويش باشا
والى دمشق الشام * فحاصره زمنا طويلا * وأذاقه عذابا وبيلا *
ولما اشتد عليه القتال * واحاطت به الاهوال * وانقطع عنه
الامداد * من سائر البلاد * صحا من غفلته * واستفاق من سكرته *
وداخله الخوف والفزع * واضطرب من الهلع * وايقن انه اذا

طالت عليه تلك الحاله * يؤخذ أسير الاعتقاله * فابتدر بالتحيل * لاستدعاء الامير بشير حاكم الجبل * وكان من افراد الرجال * موصوفا بالفضل والكمال * وحسن التدبير وجميل الخصال * ولقد أجاد من وصفه فقال

انما أنت واحد غير انى * اسمت أعطيك منزل الآحاد
فيماذا يبالغون وهم لا * يبلغون الانصاف بعد الجهاد
لك خوف لو صادف العين فى الحلم لصارت تخاف طيب الرقاد
تفخر الناس بالجدود ولكن * أنت فخر الآباء والاجداد

وأرسله الى الديار المصريه * ليستميل له خاطر الحضرة الخديويه * لاصلاح أمره مع الدولة العليه * وكان محمد على باشا له وجاهة كبيره ومنزلة عند الدولة رفيعة خطيره * فلبى دعوته * وأجاب طلبته * وكتب فى شأنه الى القسطنطينيه * واسترضى الدولة عنه بموجب ارادة سنيه * ورفع عنه تلك الشده * بعدما أقام فى الحصار مده * وصار له عليه حق الجميل والاحسان * على مدى السنين والازمان غير ان عبد الله باشا كبرت نفسه بعد ذلك عليه * وجحد فضل محمد على باشا واحسانه اليه * وحصول العفو له على يديه * وسلك معه سلوك اللئام * الذين لا عهد لهم ولا زمام * وتكلم فى حقه بما لا يليق من الكلام * فلما بلغ محمد على باشا هذا الخبر * زاد به الغيظ والكدر

وكتب الى حضرة السلطان * محمود خان يعلمه بهذا الشان * ويلتمس
من جلالته * خلع عبد الله باشا عن ولايته * فلم يكترث بخطابه * ولا
أجابه على كتابه * فاستعظم منه ذلك الامر * ورآه من عجائب الدهر
ولم يعد يمكنه الاصطبار * على ذلك الذل والعار * فجهز ولده أسد
الآساد * وسيف الجهاد * ابراهيم باشا فارس ميدان الطراد * ان
يسير لحرب الديار الشاميه * وارد فه بالعمارة البحريه * وأصحبه
بثلاثين الفا من شجعان العسكر * الذين لا يبالون بالخطر * ولا
يهابون الموت الاحمر * شعر

جيش يسير النصر فوق لوائه * فتخافه الاعداء قبل لقائه
جيش تذل له الرقاب وتنثني * طوعا وتحمي تحت ظل حمائه

فسارت العساكر * بالمهمات والذخائر * قاصدة الديار الشاميه *
على طريق البريه * وأما القائد العام * والبطل الهمام * ابراهيم
باشا فارس الصدام * فانه نزل فى العمارة البحريه * مع باقى الجيوش
الجهاديه * وكان من جملة معاونيه * عباس باشا ابن أخيه * وابراهيم
باشا الصغير * وغيرهما من القواد المشاهير * وكانت العمارة
المصريه * مؤلفة من ستة عشر قطعة حربيه * وسبعة عشر سفينة
نقليه * تحت رياسة أسد العرين * وفخر الاماجد المعتبرين *
عثمان بك نور الدين * وكان خروجه من بوغاز الاسكندريه * فى غرة
جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هجريه * فوصل فى خمسة ايام * الى

حيفا احدى أساكل بر الشام * وهي بلدة تبعد عن عكا ثلاث ساعات * وأهلها يبلغون نحو ثلاثة آلاف من النسمات * ولما القت المراكب مراسيها * نزل ابراهيم باشا اليها وخيم في نواحيها * فتزلزلت بقدومه الديار الشاميه * وارتجت من هيبته ورجة قويه * وأما باقي الجيش والعسكر * الذي سار على طريق البر الاقفر * فانه كان قد واصل التسيار * وجد في قطع البراري والقفار * فاشرف على عكا من الجهة الجنوبيه * في عشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٣١ مسيحيه * وانضم الى باقي الجيوش المصريه * وكان لما بلغ عبد الله باشا هذا الخبر * وابصر الجيش والعسكر * أحاط به الخوف والذعر * وطار من عينيه الشرر * ففرق الاموال * وجمع الفرسان والابطال * وشرع في تحصين القلع والاسوار * واستعد للقتال والحصار * وأرسل يستدعي من حوله من الاكابر والاعيان * وكتب بخط يده الى الامير بشير حاكم لبنان * يستنجده لهذا الامر ويقول له ان المشايخ بني الجرار وبني صقر * وعرب السلط وبني صخر * ينتظرون قدومه اليهم * ليكون رئيسا عليهم * وفي اثناء ذلك يذكره بالصداقة القديمة والمحبه * ويثني على أمانته وحفظه المودة والصحبه * متمثلا بقول الشاعر

وأنت الخالص الذهب المصفى * بتزكيتي ومثلي من يزكي

وكانت عكا في تلك الايام * من أشهر مدن بر الشام * وكرسي الولاة

والحكام

والحكام * ذات ابراج حصينه * وقلاع متينه * مشحونة بالذخائر والمهمات * وآلات القتال والجبخانات * وفيها من رجال الحرب * وفرسان الطعن والضرب * نحو خمسة آلاف مقاتل * بين فارس وراجل * وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العليه * قد تقدم نحو عكا في فرقة قويه * من الفرسان والطوبجيه * وبنى اتراسا متينه * على تل هناك تجاه المدينه * يقال له تل الفخار * ووضع عليه المدافع والقنابل الكبار * وأرسل الى عبد الله باشا يقول * ضمن كتاب مع رسول * ان يسلم المدينه * بطريقة أمينه * ويريح دم العباد وسلامة البلاد * ويبادر الى ملتقاه * ويعتذر عما جناه * ويدخل تحت لواء الحضرة الخديويه * ويعيش باقي أيامه في رغد ورفاهيه * وعين له أجلا للحضور * وتسليم الحدود والثغور * ان تجاوزه ولم يخضع لامره * يضربه بالمدافع ويجعل كيده في نحره * وحينئذ يأخذه أسيرا * ويرسله الى مصر ذليلا حقيرا * ولا يعود يفيده الندم * بعد فوات الفرصة وزلة القدم * فلما وقف على كتابه * وفهم فحوى خطابه * شق ذلك عليه * وعظم الامر لديه * وحدثه عقله السقيم * بعدم الطاعة والتسليم * وتصلب على المحاصرة والمقاومه وأصر على المدافعة والمصادمه * ورفض أمر الصلح والمسالمه * وسعى بسوء تدبيره * على خرابه وتدميره * ولم يعلم ان أيامه قد مضت ومدة أحكامه زالت وانقضت * واستمرت بينهما المحاربة نحو

عشرة أيام * وعبد الله باشا يحاوله بالكلام * ولا يقدر عواقب الايام
وكان مستر بيتر آبوت * قنصل دولة الانكليز في بيروت * لما بلغته هذه
الاخبار * سار قاصدا تلك الديار * واجتمع بابراهيم باشا في الخيام
بعد مسير ثلاثة أيام * وأخذ يلومه بالكلام * على قدومه الى بر الشام
بدون رخصة سنيه * من الدولة العليه * بقوله له ان هذا العمل *
لا توافق عليه بقية الدول * لا سيما الدولة الانكليزيه * المتحدة مع
الدولة العثمانيه * على حفظ الصداقة واخلاص الطويه *
فاغتاظ ابراهيم باشا منه وتأثر * غير انه لم يظهر له من غيظه ما أضمر
وقال له اعلم * أيها الصديق الاكرم * انى حضرت بالعساكر
الجهاديه * لاستخلاص الديار الشاميه * انتقاما من عبد الله باشا
بأمر الحضرة الخديويه * فان كان ذلك لا يوافق دولة الانكليز *
فعليها ان تخاطب به جناب والدي العزيز * لعله يأمرني بالرجوع *
عدلت عن هذا المشروع * والا فلا أرجع بدون ذلك * ولو قامت
على جميع الممالك * ثم نهض على الاثر * وتوجه قاصدا العسكر *
ولم يلتفت الى حديث مستر آبوت وكلامه * ولا اكترث بتعنيفه
وملامه * واستمر على ما كان قد قصد * من ضرب الاسوار وهدم
البلد

(الباب الرابع)
في حصار مدينة عكا وفتحها أساكل عربستان

واستيلاء

واستيلاء ابراهيم باشا على جبل لبنان

فلما انقضت مدة الميعاد المعهود * وفات وقت الاجل الموعود * وعبد الله باشا مازال مصرا على عدم تسليم البلد و باقي الحدود * استعد ابراهيم باشا وتأهب * في اليوم الرابع من شهر رجب * على ضرب المدينه * وهدم ابراجها الحصينه * فارسل الى روساء الطوبجيه * وقائد العمارة الحربيه * يأمرهم باطلاق النار * على الابراج والاسوار * فامتثلوا ما أمر * ولم تكن الالمحة بصر * حتى أطلقت المدافع والقنابل * على الحصون والمعاقل * وكان الضرب متصلا من الخارج والداخل كالغيث الهاطل * وكان قد أرسل الى الامير بشير حاكم الجبل * كتابا يستدعي حضوره بالعجل * ليقرره في مركز حكومته * و يعيش في ظل نعمته * فلما وقف على هذا الخطاب * داخله الخوف والاحتساب * وجمع اكابر لبنان * ومن يعتمد عليهم من الاعيان * واستشارهم في هذا الشان * فاستقر رأي الجمهور * على عدم التسليم والحضور خوفا من عواقب الامور * فلما أبطأ في قدومه * وأصر على عدم تسليمه * استشاط ابراهيم باشا غضبا * وتبدلت فرات حلمه لهبا * وكان قد صمم النيه * على ان يدهمه بالعساكر النظاميه * و يقبض عليه جبرا * و يستولي على لبنان قوة وقهرا * ثم توقف وعدل * عن هذا العمل * لان أباه كان أوصاه به قبل خروجه من

القاهره * بالعساكر الظافره * نظر الى ما كان وقع له عنده * من التقرب والموده * وذلك عند زيارته الديار المصريه * وتمثله أمام الحضرة الخديويه * فى طلب العفو والامان * حسبما قررناه قبل الآن * فكتب الى والده بمصر يعلمه بهذا الامر * فلما وقف العزيز على هذا الخبر * داخله الغيظ والكدر * وتأثر من مخالفة الامير وكتب اليه كتابا على سبيل التنبيه والتحذير * يعاتبه على ذلك القصور * و يتهدده بسوء العاقبة ان تأخر عن الحضور * فمن جملة فحواه * ومضمون ما حواه * ان لم تحضر الى خدمة ولدى ابراهيم باشا سريعا * وتكون لاوامره منقادا مطيعا * فليكن عندك يقينا * انى ساخرب ما كنك وأغرس أرضها عنبا وتينا * وقد بالغنا فى النصيحه * وحذرناك بالاقوال الصحيحه * فاستيقظ من رقادك * واحذر عاقبة عنادك * قبل ان تهجم العساكر عليك * وتأخذ ولايتك من بين يديك * فاضطرب الامير بشير * من هذا التهديد والتحذير * وأثر فيه هذا الكلام * وخاف عواقب الانتقام * فصمم على التأهب والمسير * لخدمة ابراهيم باشا بدون تأخير * وركب من يومه * فى مائة فارس من قومه * ولما أقبل على العسكر * خرج الى ملتقاه أميرالاى العسكر * وتبعه بحرى بك رئيس الكتبة ومصطفى أغا بربر * و بعض رؤساء العساكر والجنود * بالموسيقى واطلاق البارود * فدخلوا به الاوردى بموكب عظيم * ونزل فى

الخيمة المعدّة له قرب خيمة ابراهيم * وكان ابراهيم باشا حينئذ يجول بين الجيوش والقواد * ويرتب الصفوف والاجناد * وينشطهم على الهجوم والثبات * والحرب قائمة على عكا من جميع الجهات * وعند رجوعه في المساء استدعى الامير اليه * فطيب قلبه وصفا خاطره عليه * ولاطفه بالحديث والكلام * واجلسه معه على الطعام * وشمله باللطف والاحسان * وفوض اليه أحكام جبل لبنان * واتخذه من جملة الحواشي والاعوان * وكان قد أرسل فريقا من العساكر * بالمهمات والذخائر * لاستخلاص الثغور والاساكل * تحت قيادة الليث الباسل * والبطل الحلاحل * صاحب القدر العلي * حسن بك المنسطرلي * فاستولى على صيدا وصور * وبيروت وطرابلس وباقي الثغور * وكانت العمارة الرابطة تجاه عكا * قد تعطل بعضها من شدة العواصف والانوا * ووقوع الكلل الكبار * التي كانت تسقط عليها كالامطار * من الابراج والاسوار * في الليل والنهار * فاقلعت بامر ابراهيم باشا الى الاسكندريه * في آخر كانون الثاني سنة ١٨٣٢ مسيحيه *
ولما بلغ السلطان محمود خان * قدوم ابراهيم باشا الى عربستان * وافتتاحه المدن والبلدان * استولى عليه الغيظ والغضب * وكتب الى محمد باشا والي حلب * يقول له من جملة الكلام * اعلم أيها الوزير الهمام * قد انتهى الينا في هذه الايام * مجيء ابراهيم باشا

بالعساكر المصريه * لفتح الديار الشاميه * والاستيلاء على ولاياتها
ومدنها وباقى ملحقاتها * واستولى على اطراف البلاد * وانقادت
اليه العباد * فلذلك قد أصدرنا الاوامر والمراسيم * بتجهيز
العساكر وارسالها الى تلك الاقاليم * تحت راية السردار الاكرم
حسين باشا الافخم * فيجب عليكم * انه بوصول أمرنا هذا اليكم *
ان تحصنوا القلاع والمعاقل * وتجمعوا العساكر والجحافل *
وتستخلصوا منه تلك الاساكل * قبل قدوم الجيوش المذكوره *
والعساكر المنصوره * فلما وصل هذا المنشور * الى الوالى
المذكور * شرع فى تحصين البلد * بالسلاح والعدد * وجمع
العساكر والجنود * وعقد الرايات والبنود * وسار الى حمص من
غير توان * فى سبعة آلاف عنان * من الارناؤط والهوارى والعربان
* وعند وصوله الى المدينة * حصن قلاعها بالمدافع والابنية المتينه *
وأقام بفرسانه فيها * وعسكر فى نواحيها * منتظرا قدوم العساكر
العثمانيه * ومجىء حسين باشا من القسطنطينيه * وارسل أمامه
عثمان باشا كامل * فى أربعة آلاف مقاتل * بين فارس وراجل
لقتال العساكر المصريه * واستخلاص المدن البحريه * فسار
بهمة وحميه * واستولى على اللاذقيه * ثم تقدم بعزم وثبات * الى
نواحى طرابلس وتلك الجهات * فالتقاه من عساكر مصر شرذمه *
نحو خمسمائة نسمه * وكان فى مقدمتهم الاسد الوثاب * الامير خليل

بن

ابن الامير بشير الشهاب * و بمعيته ستمائة بطل * من عسكر الجبل
ولما وقعت العين على العين * اشتعلت نيران الحرب بين العسكرين
والتقت الفرسان بالفرسان * والاقران بالاقران * واختلف
الضراب والطعان * وسالت الدماء على أديم الصحصحات * وأخذ
حده السيف والسنان * ولم تكن الاساعة من الزمان * حتى
تضعضعت من عثمان الاركان * فولى الادبار * واستنجد بالفرار *
ورجع بمن معه من الفرسان والانفار * الى قلعة الحصن وبلاد
عكار * وهو فى حالة الذل والانكسار * وحينما بلغ ابراهيم باشا
هذا الخبر * ومجىء محمد باشا الى حمص بذلك العسكر * وهو اذ ذاك
محاصر عكا الحصينه * وقد كاد أن يفتحها و يهدم اسوارها المتينه *
تجهز من يومه وسار * فى أربعة آلاف فارس كرار * قاصدا تلك
الديار * وترك عكا تحت الحصار * ثم عجل فى السير * وسابق بمسيره
الطير * فادرك عثمان باشا فى أرض الزراعة بقرب القصير *
وكان محمد باشا قد أمده بالمهمات والذخائر * وأضاف اليه فرقة من
العساكر * فناوشه الحرب * وبادره بالطعن والضرب * فقهره
وكسره * وفرق جيشه وعسكره * وفر عثمان باشا من ساحة
المعمعة * وترك الذخائر والمهمات والامتعه * ولجأ الى حمص بمن سلم
من جنده معه * بعدما قتل من عسكره نحو الف قتيل * ومن

المصر بين نفر قليل * ثم رجع ابراهيم باشا على الاثر * بعد ما غلب وقهر * وفاز وانتصر وغنم وأسر * وبلغ القصد والوطر * وأتى دير القمر * وترك فيها الفا وخمسمائة نفر من شجعان العسكر * وعاد الى عكا بعد ذلك الانتصار * وشدد عليها الحصار * وكان قد أرسل عباس باشا الى بعلبك في اليوم الخامس عشر من نيسان * وأصحبه بالايين من الفرسان * ليقيم محافظا في ذلك المكان

(نادرة)

وكانت لابراهيم باشا في حصار عكا مواقف غريبه * ومشاهد مدهشة عجيبه * تدل على شدة بأسه وشجاعته * وحسن تدربه في أبواب الحرب وبراعته * فمن ذلك ما حدثني به بعض الاعيان * من أهالي عربستان ممن كان في خدمته * ومقدما بين رجال دولته * قال خرج ابراهيم باشا ذات يوم في جماعة من قواده * منفردا عن عسكره وأجناده * وقصد مكانا يبعد عن المدينة نحو نصف ساعة * وكنت أنا من جملة الجماعة * ولما انتهينا الى ذلك المكان * نزل عن ظهر الحصان * وجلس على الرمل متكئا على ركبتيه * فنزلنا نحن أيضا ومثلنا وقوفا بين يديه * فانتزع النظارة وكشف المدينه * وشاهد أسوارها المتينه * وابراجها وقلاعها الحصينه * قال صاحبي فما كان الا كلمحة بصر * حتى تبدل صفونا بالكدر * من وقوع الكلل الكبار * التي كانت تسقط حولنا كالامطار *

من الابراج والاسوار * فخفت من عواقب الامور * ولمت نفسي على الحضور * وعلمت بان الاعداء أبصرونا * ووجهوا مدافعهم نحونا ليهلكونا * فقلت له وقد ضاع فكري * وحرت في أمري * أدام الله أيامك * ونصر أعلامك * ومكن من رقاب الاعداء حسامك * ان مجيئنا الى هنا كان غلطا * وجلوسنا في هذه الارض خطر عظيم وخطا * فقم بنا نذهب * قبل أن يمسنا العطب * لان قلبي قد انصدع * من شدة الخوف والفزع * فلله درك من شجاع وسبع لا يقاس بالسباع * فقد عاشرت الابطال والفرسان * وسمعت باخبار صناديد الزمان * فما سمعت بمثلك بين الشجعان *
ولكن أيها السيد الجليل * لا يخفى عليك ما قيل
ليس المخاطر محمودا ولو سلما

فتبسم ضاحكا من مقالي * ولم يجبني على سؤالي * وكان قد أمر بعض الخدم * ان يأتيه بكبش مشوي من الغنم * فامتثل ما أمر * وفعل كما ذكر * ومازلت أكرر عليه الكلام * وأطلب منه الاذن في ترك المقام * الى ان جاء الغلام بسفرة الطعام * فعند ذلك ألقى من يده النظاره * وهو مظهر الشجاعة والجساره * والتفت الي وتبسم * وأمرني ان أتقدم * فتقدمت على عجل * وأنا في خوف ووجل * من أصوات المدافع ووقوع الكلل * واذا بكلة سقطت أمامي * كادت تسقيني حمامي * فخفق قلبي * وزاد خوفي ورعبي * فنهضت من مكاني

مرتعشا * خائرا مندهشا * كل ذلك وهو جالس * كأنه الليث العابس * غير مبال بهذه الحال * ولا خطر له خوف ببال * من جميع هذه الاهوال * و بعد ان أكل وشرب * دعا بجواده فركب * وركبنا نحن أيضا وتبعناه * وأنا لا أصدق بالنجاه * حتى بعدنا عن العدو * وصرنا فى ساحة الامان والهدو * فعجبت من جسارته على الاهوال والنوائب * وعدم اكتراثه بالاخطار والمصائب

(الباب الخامس)

فى فتح مدينة عكا الحصينه *
وهدم ابراجها وقلاعها المتينه

وكانت الحرب على عكا قائمه * والمدافع على ابراجها متصلة دائمه * حتى هدم أكثرها ونها واسوارها * وسقط رونق مجدها وفخارها من وقوع الكلل والقنابل * وهجوم الابطال والجحافل * وكانت سكان البلد * من الشيخ الى الولد * فى خوف واحتساب * وقلق واضطراب * من سقوط الكلل واصوات البارود * فكانوا يستترون تحت العقود * واستمر القتال * على هذا المنوال * مدة سبعة شهور * بلا انقطاع ولا فتور * وكان المصريون فى اثناء الحصار يحفرون حفرا تحت أساسات الاسوار * و يضعون فيها البارود ويضرمونها بالنار * فتهدم مافوقها من البنيان * وتسحق المدافع

وتقتل

وتقتل الفرسان * ولما كان يوم الجمعة الموافق ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٢٤٧ هجريه * صمم ابراهيم باشا النيه * لقيام همة قويه * لينتهى بها الحال * وتكون واقعة الانفصال * فجمع أركان حربه اليه * وأخبرهم بما قد عول عليه * وأعطاهم الاوامر والارشادات اللازمه * المتعلقة بكل واحد منهم فى تلك المهاجمه * وعين لها اليوم الثانى من ذلك النهار * وهو السابع والعشرون من ذى الحجة والثامن والعشرون من ايار * ولكن لما كان هذا الدستور الاكرم * يحب توفير اسباب سفك الدم * أرسل الى عبد الله باشا قائدا من الجند * يطلب اليه أخيرا ان يسلم البلد * قبل ان تفوته فرصة الامان * ويقع فى قبضة الاسر والهوان * وأنه غير منفك عن هذا الشان * ولو تحزبت عليه جبابرة الارض ومردة الجان * فلم يلتفت عبد الله باشا الى هذا التحذير والتنذير * وعده من باب الخوف والتقصير * وقال للقائد المذكور * ان مدة الحصار لم تتجاوز بعد سبعة شهور * والمدينة بحمد الواحد الاحد * مشحونة بالسلاح والعدد * وفيها من الجبخانات * والذخائر والعلوفات ما يكفيها خمس سنوات * حتى جاء الوقت المعهود * وفرغ الزاد والبارود * وانقطع عنا الامداد والاسعاف * ننظر حينئذ فى انهاء هذا الخلاف * فلما عاد القائد الى مولاه * و بلغه جواب عبد الله تعجب من وقاحته وحار * وأمر باطلاق المدافع على الحصون

والاسوار * فاطلقت طول ذلك الليل * وانصبت على البلد كعارض السيل * ولما كان الصباح * تأهب العسكر للهجوم والكفاح * فقرعت الطبول * ولمعت النصول * وخفقت الرايات ونفخ النفير * وانقسمت الآلايات الى فرق وطوابير * وسارت العساكر * كالاسود الكواسر * بحسب صدور الاوامر * طالبة القلاع والابراج * بدون خوف ولا انزعاج * وفي مقدمتها هاتف السعد والاقبال * ينشد قول من قال

هيا بنا هيا بنا * للحرب نلقى ضدنا
نحن الاسود الكاسره * نحن السيوف الباتره
من أرض مصر القاهره * سرنا وقد نلنا المنى
هيا بنا هيا بنا * للحرب نلقى ضدنا
نحن الجهاديون لا * نخشى غبارا اذ علا
ولم نذق في البلا * صدرا اذا الموت دنا
هيا بنا هيا بنا * للحرب نلقى ضدنا
بارودنا شرارة * يشوى الوجوه ناره
وسيفنا بتاره * من العدى تمكنا

ولم تكن الاساعة من النهار * حتى أشرفوا على الاسوار * واندفقوا عليها كالبحار * وكان أول من هجم بامر ابراهيم *

طابور من الالاى العاشر على برج كريم * الكائن فى الجهة
الغربيه * من الاسوار الشماليه * ثم اتبعه على الاثر * ثلاثة
طوابير أخر * تحت قيادة الشجاع الشهير * ابراهيم باشا الصغير
وهو والد صاحب حيدر باشا وخليل باشا يكن * أصحاب الخلق الجميل
والصيت الحسن * وانعطفوا بحملاتهم أسرع من البرق * على
الابراج الكائنة تجاه الشرق * وكانت أكثر هذه المواضع * مثقوبة
بكلل المدافع * وأما أسد الآساد * وسيف الجهاد * وقائد القواد *
فكان سائرا على أثر العساكر * وبمعيته طابوران من الالاى
الخامس والعاشر * وكان يجول على ظهر جواده * بين صفوف
فرسانه وأجناده * وهو يشجعهم بالكلام * وينشطهم على الهجوم
والاقتحام * ويعدهم بالمكافاة والانعام * فلله درهم من فرسان
وابطال * ما اشدهم فى الحرب والقتال * واثبتهم فى ميدان النزال *
على المخاطر والاهوال * وكان الرصاص يتناثر عليهم كالبرد *
من الابراج ومتاريس البلد * وهم ثابتون ثبات الجبابره * أو
الاسود الكاسره * غير مبالين بالخطر * طمعا بالنصر والظفر
وبلوغ القصد والوطر * بل كانوا يهجمون * على الاسوار والحصون
بهمم وعزائم * أمضى من الصوارم * وينصبون عليها السلالم *
ويتسلقون فوقها كالضراغم * هذا ولم ينتصف النهار * حتى
تمكنوا بالقوة والاقتدار * على أكثر الحصون والاسوار *

ونشروا عليها بيارق الانتصار * فاستولى الطابور الثاني * على المراكز والمباني * التي في الناحية الشرقيه * المتصلة باطراف الاسوار الشماليه * واستولى الطابور السادس * من الالاي الخامس * على جميع الصوامع * التي في جهة النبي صالح * وهكذا استولى الالاي الاحتياطي * على المتاريس الواقعة بقرب الشاطي فلما رأى عبد الله باشا ذلك الهول العظيم * والخطب الجسيم * ندم على عدم الطاعة والتسليم * وعلم أن نجمه قد سقط * وعقد عزه انحل وانفرط * وانه عما قريب يؤخذ أسيرا * ويقاد أمام عدوه ذليلا حقيرا * بعد ان كان واليا ومشيرا * ولكنه أظهر الصبر والجلاد وسار بالعسكر الى خارج البلد * بقصد المدافعة والممانعه * وصد الهجمات المتتابعه * فخاض ساحة المعركه * وجرت بينهم وقعة مهلكه * قتل فيها من قواد المصريين * وابطالها المشهورين الشجاع المقدام * اسماعيل بك القائم مقام * وبموت هذا الاسد الغضنفر * ارتبك جيش المصريين وتأخر * وضعفت عزيمته وتقهقر * فلما رأى ابراهيم باشا ان العسكر * قد امسى في ارتباك وخطر * خشي من الهزيمة والانكسار * بعد ذلك الفوز والاستظهار * فتقدم نحو جنوده بحرسه * وهو راكب على ظهر فرسه * وجعل يحرضهم على الثبات والجهاد * ويحثهم على الصبر والجلاد * ويقول هذا يوم الانتصار * هذا يوم الافتخار * هذا يوم

بلوغ الاوطار * فكانوا تارة يتقدمون وتارة يتأخرون * فعند ذلك
سل سيفه من غمده * وانعطف بالحملة امام جنده * واقتحم مواكب
الاعداء * كانه أسد البيداء * فشق الصفوف والكتائب * وأظهر
بشجاعته العجائب * فتشجعت عزيمة العساكر * بهمة هذا
الهمام الظافر والحسام الباتر * وداخلتهم الحماسة والفتوه *
وكروا على أعدائهم بنشاط وقوه * فسدوا عليهم الطرق
والطرائق * وألهبوهم بضرب السيوف والبنادق * فأزاحوهم الى
ماوراء الخنادق * ثم قويت عزيمة المحصورين * وانعطفوا بالحملة
على المحاصرين * وحينئذ اختلطت الرجال بالرجال * والابطال
بالابطال * والتحم القتال * واتسع المجال * وعظمت الاهوال *
وجرى الدم وسال * وتمكنت الصوارم * فى الرقاب والجماجم *
والحراب والخناجر * فى الصدور والخواصر * وكان يوما من أعظم
الايام * وساعة يشيب من هولها رأس الغلام * لان الدماء كانت
تسيل كالمطر * والجثث تتساقط على الارض كاوراق الشجر *
والسهول والتلال * تهتز من ضجيج الرجال * واصوات المدافع التى
تزعزع الجبال * حتى خيل للنظار * فى ذلك النهار * ان الساعة
اقتربت * والارض ارتجت واضطربت * والسماء غابت
واحتجبت والمدينة احترقت وانقلبت * ولقد أحسن المقال *
وصدق من وصف ما كان فى ذلك اليوم وقال

قد قل ان جهنما تحت الثرى * مالي اراها فوق عكة تضرم
لولم تكن دار الشقاوة عكة * ما اضرمتها بالشرار جهنم

واستمرت تلك المعاركه * والمهاجمة المتداركه * من الصباح الى بعد العصر * حتى هبت ريح النصر * وكانت قد كانت جموع عبد الله باشا * وانحل عزم نشاطها وتلاشى * وعجزت عن حماية البلد * ولم يعد لها أدنى ثبات ولا جلد * فالقوا سلاحهم * وسلموا أرواحهم * خوفا من حلول البوار * ونزول الدمار * وطلبوا لانفسهم الامان * واختاروا الاسر والهوان * وانصبت العساكر المصرية كالسباع واندفعوا على البلد أشد اندفاع * بقلوب لا تخشى الموت ولا ترتاع * وتسلموا باقي الابراج والقلاع * واستولوا على مدينة عكا عنوة وقهرا بعد حصار سبعة أشهر براوبحرا * وتسلم ابراهيم باشا زمام تدبيرها وقبض على عبد الله باشا وزيرها * والقاه تحت الحفظ والترسيم * بعدما وبخه على فعله الذميم * وسلوكه الغير المستقيم * وفي اليوم الثاني وهو يوم الاحد * نزل في قصر البهجة خارج البلد * وهو أحد القصور * المختص بعبد الله باشا المذكور * ولما استقر في ذلك المكان * خرج اليه الاكابر والاعيان * وطلبوا منه الامان * فاجابهم الى ذلك الشان * وعاملهم باللطف والاحسان * ثم أمر بكتابة الاوامر والمراسيم * الى ولاة المدن والاقاليم * يعلمهم بذلك الفتح والنصر * وانه استولى على عكا بالقوة والقهر * فكتبت في الحين

وأرسلت الى الولاة والمحافظين * وهذه صورتها

بعد السلام عليكم المنهى اليكم * انه نهار أمس عند طلوع الشمس زحفت عساكرنا المصرية الظافره * بالقوة والسطوة القاهره واندفعوا على مدينة عكا اندفاع الاسود الكاسره * و بادروها بالمهاجمة * واقتحموها بالمصادمة والمقاومه * الى ان فتحوها بقوة الحرب والنار الدائمه * وصعدوا اسوارها الرفيعه ووطئوا ابراجها المنيعه * وغدت عساكر الاعداء مقهوره * امام عساكرنا المنصوره * ولما تضعضعت منهم الاركان * ورأوا ماجرى وكان * رفعوا الرايات وطلبوا الامان * فاجبناهم الى سؤالهم * و بلغناهم غاية آمالهم * وعاملناهم بالرفق والاحسان شفقة على الاهالى والسكان * ورأفة بالبنات والنسوان * والاطفال والصبيان * وأخرجنا عبدالله باشا وكتخداه * وقواد عسكره وزعماه * واستولينا على عكا قهرا باذن الله * ولاجل اعلان هذه البشرى حررنا اليكم هذا المنشور * من ديوان عسكرنا المنصور * لتعلموا مضمونه بالشكر والسرور * وتواظبوا تأدية الدعوات الخيريه * الى حضرة بارى البريه * بدوام بقاء سعادة ولى النعم * جناب والدنا المعظم * حرر فى ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٤٧

الختم — سلام على ابراهيم

وبعد ذلك استدعى بعبد الله باشا خضر بين يديه * وسلم عليه واعتذر اليه * وتصور الموت نصب عينيه * فلاطفه وطيب قلبه * وسكن روعه ورعبه * وأجلسه بالقرب من حضرته * وقابله بما يليق بحشمته * ثم أرسله الى أميه أسيرا * ذليلا حقيرا * وعند دخوله عليه وقع على قدميه * ملتمسا منه الرضى * والعفو عما مضى * فلما رأى حاله * صفح عنه ورثى له * وأنزله فى أحسن السرايات * واجرى عليه ما يلزمه من العلائف والنفقات * فتباشرت الناس بزوال أيامه * وسرت بانقراض أحكامه

(الباب السادس)

فى مسير ابراهيم باشا البطل الهمام * بليوث الآجام * وفرسان الصدام * لافتتاح مدينة دمشق الشام *

وكان ابراهيم باشا صاحب الهمة العليه * والصولة الحيدريه * قد بقى فى نفسه شئ من حرب القصير على ما مر ذكره * فاثر ذلك عنده تأثيرات مازال يختلج بها صدره * اذ لم يكن فى قصده الاعتداء على حقوق الدولة العليه * ولا الاستيلاء على سوريه * وانما كان جل قصده الانتقام من عبد الله باشا المذكور * لما كان بينه وبين حضرة الخديو من الخلاف والنفور * فما لبثت الدولة ان بادهته بالشر والقتال * على ما تقول اهل سوء الظن به واختلاف الاقوال * فاضطر الى المدافعة عن نفسه ودفع الرجال بالرجال * ثم لما تمادى

الامر

الامر على الشقاق * وأصرت الدولة على عدم الوفاق * لم يجد بدا من طرح زمامها * والثبات على حربها وصدامها * فلما فرغ من حرب عكا كما تقدم الكلام * تجهز لاخذ دمشق الشام * ونهض في سبعة آلاف بطل همام * وسار معه الامير بشير حاكم لبنان * في الف وخمسمائة عنان * فوصل اليها في اليوم الخامس عشر من شهر حزيران سنة ١٢٤٨ هجريه الموافقة لسنة ١٨٣٢ مسيحيه * وكان الوالي يومئذ على البلد رجل لا يقال له علي باشا الاسعد * فلما بلغه قدوم هذا الاسد * اضطرب فؤاده وارتعد * فاستعد للقاء * وخرج بالعساكر للتقاء * فالتقاه المصريون بقلوب كالجبال * واشتبك بينهم القتال * ولم تكن الا جوله * حتى انكسر عسكر الدوله * فولى وطلب الهرب * وتفرق جمعه وانقلب واغتنم علي باشا الهزيمه * فنجا بنفسه الى حمص في حالة ذميمه * ولم تنفعه همة ولا عزيمه * وبلغ ابراهيم باشا بباسه الشديد * ما كان يشتهي ويريد * ودخل الى البلد بالنصر والتأييد * فامتلكها ونزل في دار السرايا * وانقادت لامره جميع الرعايا * فعامل الناس بلطفه المعهود * واستمال نفوسهم اليه بالعدل والجود * فاستنارت بقدومه المدينه * وتزينت اسواقها باحسن الزينه * وصفقت طربا انهارها السبعة * واصبحت جبهتها بتشريفه مباركة الطلعه *

شعر

حاكت علاه بدور الافق وابتهجت * فيه الاهالى وقد قرت به نظرا
وزاد حسن دمشق الشام واكتسبت * فخرا بمقدمه اذ جاء منتصرا
وصفقت طربا بانهارها وغدا * داعى التهانى بها يعتز مفتخرا

(الباب السابع)

فى خروج حسين باشا من القسطنطينيه * بالجيوش
السلطانيه والمهمات الحربيه * لمحاربة
العساكر المصريه * ووصوله الى
عربستان * وانهزامه فى
واقعتى حمص وبيلان

وكانت الدولة العليه * لما بلغها قدوم ابراهيم باشا الى سوريه *
وافتتاحه الاساكل البحريه * عينت حسين باشا السردار
الاكرم * الذى سبق ذكره فيما تقدم * وأرسلته من القسطنطينيه
بالعساكر والمهمات الحربيه * لقتال الجيوش المصريه *
واخراجها من الديار الشاميه * فسار بهمة وحميه * و بمعيته
ستون الف مقاتل * بين فارس وراجل * منها خمسة وأربعون الفا
من العساكر المنتظمه * وخمسة عشر الفا من الاتباع والخدمه *
ومعها من المدافع نحو مائة وستين * و بمعيتها جماعة من ضباط

الاوربيين * هذا ماعدا العساكر الاحتياطيه * التي حضرت من ازمير بالعمارة الحربيه * وعسكرت في شطوط القرمان * حتى اذا دعت الحاجة تأتي الى عربستان * وكان حسين باشا المرقوم * عند وصوله الى انطاكية وتلك التخوم * أرسل امامه طليعة من العساكر * الى حمص بالمهمات والذخائر * تحت قيادة البطل المغوار * محمد باشا البيرقدار * وعند وصوله اليها * عسكر بجنده حواليها * واجتمع بمن هنالك * من باشاوات الاتراك * الذين كانوا بالانتظار * لذلك الجيش الجرار * وأعلمهم بقدوم السردار * الى تلك الديار * وبمعيته العساكر الظافره * والجيوش المتكاثره * فانشرحت صدورهم * واشتدت ظهورهم لانهم كانوا في خوف عظيم * من حرب ابراهيم * ولما بلغ ابراهيم باشا القائد العام * وصول هذا الجيش وهو في دمشق الشام * استعد لاستقباله * وحربه وقتاله * وتفريق رجاله وأبطاله * جهز المهمات والمدافع * ورتب الكتائب والطلائع * وكتب الى عباس باشا في الحال * يأمره ان يقوم من بعلبك بالعساكر والابطال * ويجد في السير * ويوافيه الى قرية القصير * وكتب أيضا الى طرابلس الشام * يأمر حسن بك المنسطرلي بسرعة القيام * وان يلاقيه بباقي الجنود * الى المكان المعهود * ثم سار هو وعلي الاثر بمن معه من العسكر * قاصدا تلك الكوره * فوصل اليها في سابع

تموز من السنة المذكوره * فالتقى بهما فى ذلك المكان * و جميعهما
الرجال والفرسان * فاخذوا يتفاوضون و يتذاكرون * على ما هم
عليه عازمون * وهل ينتظرون الاعداء * فى تلك البيداء * ام
يبادرون اليهم * قبل ان يشرفوا عليهم * فاستقر الرأى على السير
قبل وصول العدو الى القصير * وكان بينهم وبين حمص نصف مرحله
فباتوا فى تلك المنزله * ولما أصبح الصباح * وسطع نوره ولاح *
اصطفت المواكب * وترتبت الكتائب * وانتشرت البيارق ونفخ
النفير * وجدت العساكر بالمسير * قاصدة حمص بدون تأخير *
وكان محمد باشا والى حلب * ومن معه من الباشاوات وذوى المناصب
والرتب * لما بلغهم قدوم ابراهيم باشا اليهم * وانه عما قريب
يشرف عليهم * تأهبوا للحرب * واستعدوا للطعن والضرب * ولما
اقترب المصريون من المدينه * ولاحت لهم عن بعد قلاعها الحصينه
أبصروا جيوش الاعداء تموج * فى تلك السهول والمروج * فاصدر
ابراهيم باشا الاوامر * بترتيب صفوف العساكر * وسرعة
الاستعداد * للحرب والجلاد * فاصطفت وترتبت * واستعدت
وتأهبت * وتقدمت فرقة من العرب الهنادى * نحو عسكر
الاعادى * فاقتتلت مع طليعة الاتراك * وأخذت معها فى الصدام
والعراك * فاستظهرت عليها غاية الاستظهار * وقتلت منها

جملة أنفار * ثم انكشفت الاعلام والبنود * وظهرت العساكر والجنود * وهي مقبلة للقتال * على قدم الاستعجال * وكانت طوابيرها منقسمه * الى أربعة صفوف منتظمه * ومرتبة على هيئة حسنه * بين قلب وميسرة وميمنه * أما القلب فكان مواجها من امام * الطريق دمشق الشام * وأما الميمنة فكانت منتشرة فى ذلك البر الاقفر * ومحاذية لنهر العاصى من الجانب الايسر * وأما الميسرة فكانت مستندة لمزرعة على مسافة قريبة من النهر المذكور لتمنع الاعداء عن الهجوم والعبور * وكلها ثلاثون الفا من عساكر نظاميه * وأرناؤط وهوّارا ودالاتيه * ومعها أربعون مدفعا بين كبير وصغير * وكانت ضباطها من الوزراء المشاهير * الذين اشتهروا بين الناس * بالشجاعة وقوة الباس * كمحمد باشا الميرقدار * وبكر باشا الخزندار * ومحمد باشا والى حلب * وغيرهم من الباشاوات واصحاب المناصب والرتب * وأما العساكر المصريه فكانت مؤلفه * من عشرين الفا وأربعة وأربعين مدفعا من اجرام مختلفه * ومنقسمة الى ثلاثة اقسام * على أحسن ترتيب وأكمل نظام * وكان القسم الاول * فى مقدمة الجحفل * وهو مؤلف من الالاى الثانى عشر والثالث عشر والثامن عشر من الرجاله * ومستندة من اليمين واليسار بالالاى الثانى والخامس من الخياله * وأما القسم الثانى فكان مؤلفا من ثلاث الايات * وهم الاى الحرس

والالاى الخامس والحادى عشر من المشاة * ومستندا من اليمين واليسار على نحو مائة خطوة * بالالاى الرابع والسابع من السباهية ذوى البسالة والسطوة * وأما القسم الثالث فكان جيش الاحتياط * وهو مؤلف من الالاى الثامن من المشاة ومستند من اليمين واليسار بالالاى الثالث من الخياله ذوى الثبات والنشاط * وعلى جناحى هذا القسم من اليمين والشمال كانت عساكر الجبل متهيئة للقتال * ولما تدانى العسكران * وتقابل الجمعان * أمر ابراهيم باشا فارس الميدان * الالاى الثانى والثالث والرابع من الفرسان * ان يبرزوا الى ساحة الهيجاء * ويهاجموا الجانب الايسر من عسكر الاعداء * بحيث تصلى نيران الحرب * من اليمين واليسار والقلب * فلبوا أمره بالطوع والامتثال * وساروا فى عاجل الحال * قاصدين اعداءهم بقلوب كالجبال * وعند وصولهم اليهم * هجموا عليهم * وصدموهم بقلوب أقوى من الحديد * وأقسى من الجلاميد * وأطلقوا عليهم البواريد * ثم اقتحموا صفوفهم * واخترطوا سيوفهم * وحكموها فى ابدانهم * فزحزحوهم عن مكانهم * فلما رأت عساكر الاتراك * المقيمة بالقرب من هنالك * ما أصاب اصحابها من البليه * بادرت بهمة وحميه * لمهاجمة العساكر المصريه * فالتقاها المصريون فى الحال * وصدموها صدمة تزعزع الجبال * واشتعلت بينهم نيران

الحرب

الحرب * واختلف الطعن والضرب * واشتد البلاء والكرب *
وهان كل أمر صعب * وعندما شاهد ابراهيم باشا تلك الحركه *
وهو بالقرب من ساحة المعركه * أمر أحد قواد العسكر * ان يسير
بالف فارس على الاثر * و يقصد ذلك المكان المعهود * ليعضد من
فيه من الجنود * وأسنده من اليمين بصف من الطوبخانه * ومن
اليسار بالالاى الثانى عشر من المشاة وبفرقتين من الشجخانه *
* فامتثل وسار * كالسهم الطيار * وعند وصوله الى هنالك
انعطف على صفوف الاتراك * وأخذ معها فى الشبالك والعراك * ثم
تقدم باقى الجيوش المصريه * حتى اقتربوا من العساكر العثمانيه
وانفصل الالاى الحادى عشر * من مشاة العسكر * وانضم الى
الالاى السادس والسابع من الفرسان * وقصدوا ميمنة العدو من
غير هدو ولا توان * فعبروا النهر * عند العصر * وانتشروا على
شاطئه الايسر * غير مبالين بالخطر * أملا بالنصر والظفر * وبلوغ
القصد والوطر * ولما رأى محمد باشا تلك الهجمة متجهة نحو جناحه
الايمن * عزم على دفعها وملاقاة الامر بالتى هى أحسن * فأمر أحد
القواد * ان يتقدم بطابورين من الاجناد * ويهاجم عسكر
المصريين * من جانب اليمين * فبادر بالعجل * وانعطف نحوهم
وحمل * فالتقته المصريون من الجهة اليسرى * وأقاموا عليه
القيامة الكبرى * وكان قائد هذه الواقعه * وموقد نار تلك المعمعه *

البطل الهمام * وليث الوغى فى معارك الصدام * من تتبددت به جيوش العدى وتتلاشى * ابراهيم باشا * فبذل بشدة عزمه المجهود وقوى بهمته قلوب الجنود * لعلمه بان أمر النصر متوقف عليه * وتدبير الحرب راجع اليه * فلله دره من أسد كرار * و بطل قهار فانه سطا سطوة جبار * وألقى نفسه فى مواقف الاخطار * وفعل فعالا تدهش الابصار * وتحير العقول والافكار * فلو رآه الاسكندر أو أبو الفوارس عنتر * فى ذلك اليوم المنكر * وهو يخوض معركة القتال * من اليمين والشمال * و يرى بحسامه جماجم الابطال * تعلما منه فنون الحرب * ومواقع الطعن والضرب * أو زيد الخيل وعامر بن الطفيل * لانذهلا واندهشا * وخافا وارتعشا * وقبلا رجله فى الركاب * وذلا بعدما خضعت لهما الرؤس والرقاب *

شعر

قرم تذيب العدى رعبا مهابته * اذا انقضى يوم حرب صار مذكرا
قاد المنايا له جيشا وكر على * جيش الاعادى بطعن يسبق القدرا

ومازال فى قتال واشتباك * حتى تزعزعت فرقة الاتراك * من هول الصدام وشدة العراك * فنكصت الى الوراء * وطلبت جوانب الصحراء * فلما رأى محمد باشا تلك العبر * وان ذلك القائد قد انكسر * خاف من الهزيمة * التى عاقبتها ذميمة * فأمر محمد باشا الكريدلى وكان من الشجعان * ان يتقدم بالايين من الفرسان *

و يقتحم مواكب الاعداء من الجانب الايسر * بينما يهجم هو عليهم بقلب العسكر * من الطرف الآخر * فيأخذوهم من الجانبين * ويحصروهم بين النارين * فامتثل ما أمر * وحمل هو بباقى الزمر * فادرك ابراهيم باشا بفراسته وذكائه * حركة جيش أعدائه * لانه كان سريع الادراك صادق النظر * يبرم الرأى بسرعة تحاكى لمح البصر * ولما علم ذلك حول هيئة المعركه * على الصورة الموافقة لدفع تلك الحركه * فأرسل فرقة مع حسن بك النسطرلى * لمقابلة محمد باشا الكريدلى * وانعطف هو بباقى العسكر * على جيش محمد باشا القائد الاكبر * وفى الحال * التحم القتال * واتسع بين الفريقين المجال * وارتجت السهول والتلال من ضجيج الابطال * واصوات البارود التى كادت تزعزع الجبال فكانت ساعة تقشعر منها الجلود * وتشيب من هولها الاطفال فى المهود * زلزلت الارض فيها زلزالها * واظهرت القيامة أهوالها وابصرت الابطال ما راعها وهالها * فما كنت ترى الا فرسانا مشتبكه * وصفوفا محتبكه * ودماء منسفكه * وخيولا غائره * وأعضاء متناثره * ورؤوسا طائره * ومازالت المكافحة بينهم قائمه * ونار البارود متصلة دائمه * نحو أربع ساعات من النهار * وهم فى قتال أشد من لهيب النار * وكانت قد كادت جموع محمد باشا * واضمحل عزمها وتلاشى * وزادها الخوف رعبا وارتعاشا *

فئة بهرت فرسانها وترعزعت * واختل عقد نظامها وتضعضعت
ويئست من بلوغ الارب * وأيقنت بالهلاك والعطب * ونعى فوق
رؤسها ناعي الويل والحرب * فلم يعد يمكنها الاصطبار * ولم تجد
سبيلا لها الا الفرار * فالقت راياتها وبيارقها * ونكست
اعلامها وسناجقها * وانهزمت على اعقابها * وتركت جميع
ذخائرها واسلابها * وتفرقت في عرض الفلاه * وهي لا تصدق
بالنجاه * خوفا مما أصابها ودهاها * وقد تخضبت الارض بدماها
وامتلأت بجثث قتلاها * وتبعها المصريون على الاثر * وكانهم
تتساقط في أقفيتها كالمطر * وكان قد قتل منها على ما قيل * أوفى من
أربعة آلاف قتيل * ومن المصريين * نحو خمسمائة وخمسين *
وولى محمد باشا هاربا * وللنجاة طالبا * قاصدا مدينة حلب
الشهباء * وتبعه أكثر القواد والوزراء * ما عدا محمد باشا البيرقدار
فانه ولى الادبار * وفرطالبا حسين باشا السردار * ليعلمه بتلك
الكسره * و يطلب منه النجدة والنصره * وهو لا يصدق بالنجاه
خوفا مما دهاه * ومن شدة ما حصل عنده من الهول العظيم *
كان كثيرا ما يلتفت وراءه خوفا من هجوم الغريم * و يقول
هي كذي اصلان ابراهيم * واستحوذ ابراهيم باشا على مهماته
وذخائره * وفرق غنائمه على ضباطه وعساكره * واستولى على
حمص وحماه * وأقام فيهما الحكام والولاه * وكان قد وقع في يده

آمان من الاسارى * بين عساكر نظاميـة وأرناؤط وهوارا *
فأعطاهم الامان * وعاملهم بالرفق والاحسان * وأدخلهم بين
جنودها المصرية * وعين لكل واحد منهم جامكية * وكتب الى أبيه
بمصر * يخبره بهذا النصر * وكان حسين باشا السردار الاكرم *
قد خرج من انطاكيـة بالجيش العرمرم * طالبا حمص وحماه
وهو يجـد فى قطع الفلاه * وفى اثناء الطريق بلغتـه تلك الاخبار
وما حـل بعسـكره من الويل والدمار * فزاد به الغيظ والحنق *
واضطرب فؤاده وخفق * وتأسف على ما جرى * وارتد راجعا الى
الورا * ليجمع شمل العساكر القادمـه * ويأخـذ لنفسـه
الاحتياطات اللازمه * ومازالت العساكر فى انكسارها * ساعية
وراء وزيرها وسردارها * وفى مقدمتها محمد باشا البيرقدار * وهو
لا يعرف الليـل من النهار * حتى التقى بحسـين باشا المشار اليه
فتقدم وسلم عليه * ومثل بين يديه * وحدثه بذلك الخبر * وما حكم به
قلم القضاء والقدر * من انكسار جنوده * وتنكيس اعلامه
وبنوده * فظهرت على وجهه علامات الغضب * وارتبك فى أمره
واضطرب * ومن شدة ما اعتراه * رفسه برجله فألقاه على قفاه *
بعد ان شتمه وأهانه * ونزع عنه سيفه ونيشانه * ثم طرده من
أمامه * ووكل به بعض خدامه * فخرج من بين يديه * وهو ينفض
غبار الموت عن منكبيه * وحسب تلك الاهانة سعادة له وافتخارا

لانه كان قد شاهد المنية جهارا * ولما وصل حسين باشا بقطع البيد
وهو في غيظ شديد * وغم ما عليه مزيد * حتى وصل الى جسر الحديد
وهو مكان واسع الجنبات * يبعد عن انطاكية أربع ساعات
وهنا الشمر ساعد العزيمه * وجمع ما تشتت من جنوده بعد تلك
الهزيمه * ثم تجهز وارتحل * وسار على عجل * قاصدا مدينة حلب
وفي قلبه حر اللهب * من شدة الغيظ والغضب * فالتقى بواليها قرب
المدينه * وهو في حالة حزينه * فاعلمه محمد باشا بواقعة الحال * وما
أصاب عسكره من النكال * فازداد حنقا على حنق * وقلقا على
قلق * وعند وصوله الى حلب الشهباء * عقد مجلسا حربيا مع الاعيان
والعلماء * وبعد جلسة طويله * ومذاكرة مستطيله * طلب منهم
ان يمدوه بالذخائر والعدد * ويقدموا له عسكرا من أبناء البلد
فلم يوافقه على ذلك أحد * من المشايخ وأكابر العمد * لان نفوسهم
كانت غير مائلة اليه * ولا مؤملة حصول النصر على يديه * بل
كانوا يحاولون الخروج من قبضة الدولة العليه * والدخول تحت
طاعة الحكومة الخديويه * فلما يئس من النجدة والمعونه * عزم
على المسير الى الاسكندرونه * ليقيم فيها الحواجز والقلاع *
ويجعلها حصن الوقاية والدفاع * نظرا لحسن مراكزها الطبيعيه
ولكونها من الاساكل البحريه * ومما يستحق الاعتبار * ان
هذا السردار * كان قد اجتمع مع قنصل فرانسا في ذلك النهار *

فأخذ يحادثه بالكلام * ويسأله عن حواصل بر الشام * وعن اسعار
الحرير * والحنطة والشعير * وغير ذلك من المسائل * التي ليس
تحتها طائل * و بعد أن تناول معه الطعام * خرج الى المضارب
والخيام * و بات تلك الليلة في المعسكر * وهو في خوف وحذر
وقلق وضجر * وعند طلوع النهار * بلغته الاخبار * بقرب وصول
ذلك الجبار * والليث الباسل القهار * ابراهيم باشا فارس الاقطار
الى تلك الديار * فخفق قلبه وخاف * ولم يعد يمكنه الا الانصراف
والرحيل من تلك الاطراف * فقسم جيشه الى قسمين * وأرسله الى
الاسكندرونة على طريقين * الاول سار على طريق كاس وبيلان
وسار هو في الثاني باقي الجيش والفرسان * قاصدا تلك الناحيه
على طريق أنطاكيه * وتبعه والى حلب ووالى دمشق الشام
وجميع الباشاوات الفخام * وعند وصوله الى الاسكندرونة أقام
فيها * وخيم بجيشه في نواحيها * هذا ما كان من أمر السردار
الاكرم * واما ابراهيم باشا الاسد الغشمشم * فانه بعد ان انتصر
وغلب * و بلغ من عدوه القصد والارب * سار طالبا مدينة حلب
على طريق تل السلطان * ومعرة النعمان * وكان وصوله اليها
بالعسكر * في اليوم الثامن عشر * من شهر صفر * سنة ١٢٤٨
هجريه * الموافقة لسبعة عشر تموز سنة ١٨٣٢ مسيحيه * وذلك
بعد خروج حسين * من المدينة بيومين * فاستقبله أهلها بالترحيب

والتفخيم * ودخلها بموكب عظيم * وكان أول من ورد اليه للتهنئة والسلام * قناصل الدول العظام * ثم جاء القاضى والمفتى وأعيان البلد * وباقى الوجوه والعمد * الذين عليهم المعتمد * فدخلوا وسلموا عليه * والقوا أزمة امورهم بين يديه * فاعطاهم الامان وعاملهم بالحلم والرفق * وأحسن اليهم كما أحسن الى أهل دمشق * وفى أيام قلائل * وردت اليه الكتب والرسائل * من ولاة الاقطار * وحكام المدن والامصار * التى فى ذلك الجوار * يهنئونه بذلك الانتصار * ويلتمسون من حضرته * الدخول فى حمى دولته * فشكرهم على ذلك الكلام * وبلغهم غاية القصد والمرام * وبعد ان نظم أحكام المدينه * على أحسن الاساسات المتينه * وأذعنت لطاعته جميع الولايات * الكائنة فى تلك الجهات * كديار بكر ونواحيها * وأورفا وما يليها * نصب بها الولاة والمتسلمين * من خواص قواده المشهورين * لتقوم باشغالها * وتدبير اعمالها * ثم تجهز للارتحال * ونهض بالرجال والابطال * للقاء حسين باشا وقتاله * مستعينا بالله على حربه ونزاله * قاصدا الاسكندرونة على طريق قرية بيلان * حيث لم يكن له طريق آخر الا من ذلك المكان وكان خروجه من حلب بالعسكر * فى اليوم السابع والعشرين من صفر * فوصل الى حضيض بيلان بالجحفل * فى اليوم الثانى من ربيع الاول * وهى قرية جبلية البنيان * رفيعة الجدران * مبنية

على

على ذروة جبل شامخ * تبعد عن الاسكندرونة نحو ثلاثة فراسخ
فتجمعت العساكر فى تلك الناحيه * وانتشرت فى السهل الواقع
شمالى طريق كاس واقطاكيه * وهذان الطريقان * يلتقيان
عند حضيض بيلان * ومن هنالك يصبح الطريق واحد * للطارق
والوافد * وهو ضيق المجال * على الخيل والرجال * وكان حسين باشا
عند مروره ببيلان * أقام فيها سبعة عشر الفا من الرجالة والفرسان
ليقطع على المصريين منافذ طريقها * باقامة الحواجز عند باب
مضيقها * بحيث كان يستطيع بالف مقاتل * أن يدفع عشرين
ألف بطل باسل * بالنسبة الى مركزها الشاهق * ومجال مسلكها
المتضايق * فلما أقبل ابراهيم باشا اليها * وأشرف بجيشه عليها
وجدها مشحونة * بالعساكر والمؤنه * فبادر الى الحرب * واستعد
للطعن والضرب * فقسم جيشه الى أربعة اقسام * وأقام كل قسم فى
مقام * ورتب صفوف طوابيه * محكمة على جيوش أعاديه * وكان
قلب جيش الاتراك * ضابط رأس المضيق على تل هنالك * وهو
ممتد ومنتشر * على شكل خط منكسر * وموزع على ثلاثة
باشوات ومؤلف من عدة طوابير والايات * ممتدة من أسفل
الطريق * الى رأس المضيق * ومن الجانب الايمن والايسر *
كانت الطوبجية وباقى العسكر * ولما اختبر ابراهيم باشا مراكز
الجيوش العثمانيه * وعرف حركاتهم الحربيه * أمر الالاى

الثامن والثامن عشر من الرجاله * والالاى الحرس ذوى السطوة والبساله * ان يسيروا عن طريق كاس بالجبل * و يصعدوا الى ذروة الجبل * و يهجموا على ميسرة العدو * من غير توان ولا هدو فلبوا أمره السامى المطاع * وساروا على قدم الاسراع * قاصدين اعداءهم كضوارى السباع * ثم تقدم بعدهم على الاثر * بأمر القائد الاكبر * الالاى الثالث عشر * من مشاة العسكر * تحت قيادة الشجاع المشهور * والفارس المذكور * صاحب القدر العلى حسن بك القسطرلى * فسار كالبرق مسرعا * و بمعيته اثنا عشر مدفعا * قاصدا ساحة الهيجاء * والهجوم على ميمنة الاعداء * من الجهة الثانية * المعروفة بطريق انظاكيه * وكان ابراهيم باشا ابث الطراد * وسيف الجهاد * قد أقام عن يمين و يسار فم الواد * فرقا من خيالة الاجناد * لتعضد العساكر اذا ظفروا * وترد العدو عنهم اذا انكسروا * واستوى هو بنفسه لهم قائدا * ومراقبا حركاتهم ومساعدا * ولما رأت العساكر السلطانيه * تقدم الجيوش المصريه * وهى صاعدة اليها * ومشرفة عليها * من اليمين والشمال * كأنها أسود الدحال * أطلقت عليها المدافع من الجانبين * المحكمة على الطريقين المذكورين * فعند ذلك أمر ابراهيم باشا فارس الوقائع * وليث المعامع * بهجوم العساكر واطلاق المدافع * فاطلقت المدافع والبواريد * وتسابقت

العساكر الى الحرب بقلوب أقوى من الحديد * فاشتبك من الجانبين القتال * واصطدمت الرجال بالرجال * وارتفع العجاج وعظمت الاهوال * وسالت الدماء فى ميدان النزال * وماجت الخيل بركابها كموج البحر اذا لعبت به ريح الشمال * وكانت لهم ساعة من ساعات القيامة * قد امتلأت من الاهوال وخلت من السلامه لان أصوات المدافع وضجيج الابطال * كان يطبق الاودية والجبال وضرب السيوف وطعن النصال * كان يذهل العقول ويشيب الاطفال * ومازالوا فى الكفاح والجهاد * والنزال والطراد * حتى أمسى المكان * كانه محاط بما ثة بركان * تنقذف منها النيران والدخان * وكانت من ابتداء الموقعه * نيران الفريقين غير منقطعه غير أن المصريين كانوا فى الحرب أكثر انتظاما * وأخف حركة وأشد التحاما * فكانت سرعتهم فى اطلاق البنادق والمدافع * تسبق وميض البرق اللامع * وكان كل فرد منهم على التقريب والتعديل * يقاتل أربعة من الاتراك على القليل * لانهم كانوا قد والفوا ميدان الحرب ودرسوه * واكتسبوا منه علما بما مارسوه ومع ذلك لا يبالون بالبلاء * ولا يهابون كثرة الاعداء * بل فضلوا ان يموتوا امام قائدهم البطل * على ان يرجعوا بالخيبة والفشل * واستمر القتال من العصر الى بعد غروب الشمس * وكانت قد

كانت جيوش الاتراك وقتل منها أوفى من ثلاثة آلاف نفس * فعند
ذلك اختل نظامها * وتزعزعت عن المقام أقدامها * فتمزقت
صفوفها كل ممزق * وتشتت شملها وتفرق * وولت على أدبارها
نفورا * وكان أمر الله قدرا مقدورا * ولم يفقد من المصريين غير
اربعمائة وعشرين * واستولى المصريون على مهماتها *
ومدافعها وذخائرها وجبخاناتها * وباتوا في تلك الديار * شاكرين
لله على هذا الانتصار * وعند طلوع النهار * أرسل ابراهيم باشا
فارس الاقطار * عباس باشا الى الاسكندرونة في ستة آلاف بطل
كرار * ليقتفي أثر حسين باشا السردار * ومن معه من الاعوان
والانصار * واتفق ان حسين باشا قبل ان تصل اليه اخبار الهزيمه
كان موجودا في دار موسيو مارتينلي قنصل دولة فرانسا الفخيمه *
فبينما هو يتناول الطعام * ويتذاكر في أمر الحرب والصدام
اذ بلغه هذا الخبر * وما حل بعسكره من العبر * فاستعظم المصاب
وخرج عن دائرة الصواب * فنهض في عاجل الحال * وسار
الرجال والابطال * طالبا الهزيمة والفرار * خوفا من الهلاك
والدمار * وعند وصول عباس باشا الى البلد * وجده مشحونا
بالذخائر والعدد * فبادر اليها * وحجز عليها * ثم لحق من هنالك
بجيوش الاتراك * فاسر منهم عددا وافرا * وعاد غانما ظافرا
وكان حسين باشا قد أسرع في الهزيمه * الى ان وصل الى قونيه بعد

مشقة عظيمه * ومخاوف جسيمه * واما ابراهيم باشا أسد الاساد
وسيف الجهاد * فبعد أن بلغ الارب * ونال غاية القصد والطلب
عاد راجعا الى حلب * بعد ان كتب الى أبيه من بيلان * يعلمه بما جرى
وكان * وفى تلك الاثناء التقت العمارة المصريه بعمارة السلطان
بين جزيرة رودس وشواطى القرمان * فصار عثمان بك نور الدين
قائد العمارة المصريه * يطارد خليل باشا قائد العمارة العثمانيه
من دون ان يحاربه * أو يهاجمه ويضاربه * ولكنه اكتفى
بحصره فى خليج مرمريس * وكان ذلك على خليل باشا أعظم
انكيس

(الباب الثامن)

حرب قونيه

فلما بلغ الدولة العليه * تقدم العساكر المصريه * وانكسار
الجيوش السلطانيه * اضطربت قلقا * واستشاطت غيظا وحنقا
وعزلت حسين باشا السردار الاكرم * وعينت محمد رشيد باشا
الصدر الاعظم * ليسير الى ذلك الطرف * ويستدرك ماسلف
قبل أن يعظم الامر ويشتد * وينفتح عليها باب لا يسد * وكان هذا
الوزير * من الافراد المشاهير * موصوفا بحسن الرأى والتدبير *
وموثوقا به فى التقديم والتأخير * فأخذ من يومه فى الاستعداد *

وكتب الى قواد البلاد * يأمرهم بتجهيز العساكر والاجناد *
فتبادرت الجيوش اليه * وتتابعت من كل جانب عليه * هذا
ما كان من أمر الدوله * وأما ابراهيم باشا صاحب الشوكة والصوله
فانه بعد هذا الانتصار * مازال ساهرا آناء الليل واطراف النهار *
لجهة تثبيت فتوحاته فى تلك الديار * التى نالها بسيفه البتار * وبينما
كانت الدولة العليه * منهمكة فى الاستعدادات الحربيه * كان هو
أيضا آخذا فى التقدم نحو القسطنطينيه * وفى اليوم الخامس عشر
من ربيع الاول والحادى عشر من آب من السنة المذكوره * سار
من حلب الى أدنه بالعساكر المنصوره * وكانت قد سلمت له مع كل
قضائها * فخيم بجيشه حول أرجائها * منتظرا الاوامر الخديويه
وما صممت عليه الدولة العثمانيه * اما السلم والمصالحه * واما
للحرب والمكافحه * وكان جناب الخديو الاعظم * بعد ان انتصرت
اعلامه فى المعركتين الاخيرتين كما تقدم * لم يستول عليه التعاظم
والافتخار * ولم تأخذه عزة الفوز والانتصار * على مداومة القتال
والنزاع والجدال * بل كان يود بت الخلاف وحسم الفتن * وتلافيها
بالتى هى أحسن * والاقتناع بما فتحه سيفه البتار * وساعدته
عليه يد الاقدار * مع انه كان قادرا * بعد ان كسر جيشا وافرا
ان يتقدم مغتنما فرصة انتصاره * وضعف قوة عدوه وانكساره
بعد واقعتين هائلتين * وهزيمتين متواليتين * على افتتاح

القسطنطينية

القسطنطينيه * والاستيلاء على تخت السلطنة العثمانيه *
ولكنه كما تقدم الكلام * كان يؤثر الصلح والسلام * على النزاع
والخصام * والحرب والصدام * وكان يؤمل ان فوز اسلحته وانتصار
ابطاله * يحمل الدولة ان تكف عن حربه وقتاله * ولكن الدولة
بعد واقعتى حمص و بيلان * لم تطلب عقد الصلح أو فتح المخابرة بهذا
الشان * بل كانت آخذة فى الاستعدادات * وتجهيز العساكر
والمهمات * طلبا الاخذ الثار * وطمعا فى الفوز والانتصار * وأما
الخديو المشار اليه * فلما علم بتجهيزات الدولة وما صممت عليه
لم يجد بدا من مداومة القتال * وتفويض الامر الى حكم حدود
النصال * وبينما كان الصدر الاعظم و باقى رؤساء الدوائر *
ناظرون تدبير الجيوش وتجهيز العساكر * وارسالها الى قونيه
بالمهمات والذخائر * كان ابراهيم باشا عالما بتجهيزاتهم * وعارفا
بحقيقة حركاتهم * وكانت مدينة أدنه التى أقام فيها * وعسكر فى
نواحيها * تكى تحمى بلاد سوريه * من مهاجمة العساكر العثمانيه
لا تصلح لقيام حركة حربيه * بالنسبة لمراكزها الطبيعيه * فاصبح
مضطرا اما أن يتقهقر * بالجيش والعسكر * و يستند الى مكان
آخر * أو أن يتوغل الى قدام * و يواظب على الحرب والصدام
أما رجوعه القهقرى * وارتداده الى الورا * فلم يكن لائقا برفيع
مقامه * بعد ذلك النصر الذى ناله بحسامه * وأما توغله فى تلك

البيداء * واقتحامهم مواكب الاعداء * وهو في عدد يسير * وهم في جم غفير * كان أمرا خطرا * ولو كان اذ ذاك منتصرا * واذ كان لا يسعه ان يرجع و يعود * ولا ان يقيم في تلك الحدود * صمم على التقدم نحو العاصمه * وملاقاة الجنود القادمه * واستخار الله رب العباد * على صدق الجهاد * وكانت الحضرة الخديوية * لما بلغها تجهيزات الدولة العليه * الجارية في القسطنطينيه * وبقرب خروج الصدر الاعظم * بذلك الجيش العرمرم * لم تجد بدا من مداومة القتال * لينتهي الحال * و يرتفع النزاع والجدال * اما بالانتصار التام * أو بالانكسار والانهزام * فارسلت الاوامر والمراسيم الى ولدها ابراهيم * ان يرحل من تلك البلاد * و يتقدم نحو قونيه بالعساكر والاجناد * و يباشر الحرب والجلاد * وكان جناب المشار اليه * قبل ورود هذه الاوامر عليه * مستعد للرحيل والقيام * والتقدم الى أمام * كما تقدم الكلام * واذ كان لا يمكنه تخلية البلد * خوفا من سطوة العدو اذا وفد * أقام عباس باشا فيه لحفظه وحميه * و بعد ذلك تجهز وارتحل * في السابع عشر من جماد الاول * قاصدا مدينة قونيه على عجل * بعد ان أرسل جيش الباش برق و بعض الفرسان * عن طريق منارة خان * وسار هو بباقي العسكر * من طريق آخر * ولما بلغ شطوط القرمان * التقى بعثمان بك نور الدين الذي كان بعد أن طارد عمارة السلطان * كما

ذكرنا قبل الآن * وحصرها فى خليج مرمريس أياما * تخلصت ولم يبلغ منها مراما * سوى فرقاطتين وكورواين فين * فنظر اليه بعين الاحتقار * وقال له ألا تعلم ان تضييع فرصة الانتصار * هى عندى من أعظم الذنوب الكبار * وأنت قد قصرت فى خدمتك * وتوانيت فى تنفيذ أوامر ولى نعمتك * الامر الذى منه قد تكدرت * أكثر مما لو حاربت أنت وانكسرت * وانى لولا اعتبار حرمة ولى النعم جناب والدى المعظم * لنزعت عنك السيف والنيشان * وطردتك الى أبعد مكان * ثم انه بعد هذا الكلام * والتوبيخ والملام * سار بالعساكر والجنود * حتى وصل الى قرية نمرود * فخيم فى تلك الحدود * وكان قد أرسل سريه * من الجيوش النظاميه * فاستولت على بوغاز كولك * وهو معبر عسر المسلك * وبافتتاح هذا المضيق * تسهل للمصريين الطريق * ولم يبق عليهم سوى واد آخر أصعب من الاول وأعسر * فبعث ابراهيم باشا طابورين من العسكر * لافتتاح ذلك المعبر * تحت قيادة سليم بك حجازى وابراهيم أغا الجوخدار * وكانا من ذوى الشجاعة والاقتدار ولما اقتربوا من فم الوادى * التقتهم عساكر الاعادى * وكانوا نحو ثلاثة آلاف * قد كمنوا فى تلك الاطراف * ليمنعوا المصريين عن العبور * من ذلك المكان المذكور * فبادر المصريون اليهم ونزلوا نزول القضاء المبرم عليهم * وألهبوهم بضرب الرصاص

وستواعليهم طرق الخلاص * ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى أبلوهم بالويل والهوان * وشتتوهم فى الجبال والوديان * واستولوا على ذلك المكان * و بينما كان المصريون منتصرين فى هذه الناحيه * كانت فرقة أخرى قد انتصرت فى جهة ثانيه * يقال لها أولوقشله * انفشل فيها العدو أعظم فشله * ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر * نهض على الاثر * مع باقى العسكر * وسار على عجل * حتى قطع ذلك الجبل * فخيم فى سهل هنالك * كانت قد أخلته جيوش الاتراك * فاستقبله أهل تلك الديار * وولاة هاتيك الاقطار * بالفرح والاستبشار * وهنئوه بذلك الفوز والانتصار * فأعطاهم الامان * وعاملهم بالرفق والاحسان * وفى اليوم الثالث من تشرين الثانى * توجه من قبل الدولة بالجيش العثمانى * جناب دستورها الاكرم * محمد رشيد باشا الصدر الاعظم * فنزل المرحلة الاولى فى أسكودار * ثم وجه عسكره نحو قونيه وسار * و بعد خروجه بخمسة أيام * صدرت من ابراهيم باشا الاوامر والاعلام * الى جيشه بأخذ الاستعداد التام * والمسير الى قونيه لاقامة الحرب والصدام * فأجاب وامتثل * واستعد وسار بالعجل * ثم نهض ابراهيم باشا وارتحل * ولما اقترب من تلك الديار اتصلت اليه الاخبار * بان أمين رؤوف باشا معاون حرب الصدر الاعظم * وزعيم الجيوش التى كانت فى قونيه وقائدها المكرم

قد أخلى المدينة وجد فى المسير * قاصدا التحصن فى أقشهير * فلما علم بهذا الخبر * فرح واستبشر * فسبق الجيش والعسكر * وقصدقونيه على الاثر * فوصل اليها الا فى اليوم السابع عشر من الشهر المذكور * ودخلها دون حرب دخول الظافر المنصور فنزل فى دار الولايه * وأخذ باجراء ما تقتضيه الحكمة والدرايه وأمر بتحصين المدينه * وتحويطها بالحواجز المتينه * اذ لم يكن قد أخلاها الاتراك * الا لكونها لا تصلح لاقامة الحراب والعراك ولما وصل الصدر الاعظم الى اقشهير * ورد اليه أمر الدولة ان يأخذ باحسن الحزم والتدبير * و ينتهز الفرصة المناسبه * لاقامة المكافحة والمحاربه * وكان ابراهيم باشا فارس الميدان * وليث الحرب والطعان * قد وجه محمد بك بفرقة من المشاة والفرسان ليأخذ له مراكز فى قيصريه * ويراقب حركة الجيوش العثمانيه وكتب الى ابراهيم باشا الصغير * الشجاع الشهير * ان يلبى الطلب ويخرج من حلب * بفرقة من الابطال * ومشاة الرجال * ويمر بعين تاب * ويقيم فى تمها الى مرعش وتلك الرحاب * للسطوة والارهاب * وهكذا بهذه الحركة الحربيه * وقى جناحى عسكره وحفظ أيضا قطرسوريه * ولكن أضحى جيشه العامل عددا يسيرا * أمام عدوه الذى كان جما غفيرا * فكان امامه حينئذ جيش عظيم مستند الى العاصمه * ووراءه سوريه مفتوحة جديدا وليس

فيها قوة تكفي لحفظها من الهاجمه * وعلى يمينه عثمان باشا والى طرابزون في سواس بجمهور وافر * وعلى يساره سليمان باشا في اضاليا في عشرة آلاف من العساكر * وفي اليوم السادس والعشرين من رجب * استعد الصدر الاعظم للحرب وتأهب فأمر والي باشا ان يسير من غبرتون ولا هدق * و ينزل على قرية سلح بثمانية آلاف من الارناوط و يقاتل العدو * فاجاب وامتثل ونهض على عجل * وكان ابراهيم باشا قد جعل فيها * نحو ألفي نفر لتحميها وتقيها * وسار الصدر الاعظم في طريق آخر * بباقي الجيش والعسكر * وأما ابراهيم باشا ليث المعارك * فحينما علم بذلك * سار بفرقة من المشاة والابطال * قاصدا قرية سلح على قدم الاستعجال * ليعضد من كان له فيها من الرجال * وعند وصوله الى هنالك * التقى بجيش الاتراك * وكان ذلك النهار * كثير الثلوج والامطار * ولما وقعت العين على العين * اشتبكت الحرب بين الفريقين * فما لبث الارناوط ساعة حتى ولوا الادبار * وركنوا الى الهزيمة والفرار * وتشتتوا في تلك الاقطار * بين الروابي والقفار * فغنم منهم المصريون خمسة مدافع ومن الخيل عددا كثيرا * وثمانية بيارق وخمسمائة وعشرين اسيرا * وفي اليوم الثاني * بلغ ابراهيم باشا ان قسما من الجيش العثماني *

يزيف عن سبعة آلاف عنان * نازل فى طقوزلوخان * بالقرب من ذلك
المكان * فتأهب للحرب والطعان * وقصدهم من غير توان *
بالايين من الفرسان * وعند وصوله اليهم * أطلق المدافع عليهم
فما لبثوا ان وقعوا فى الشتات * وتفرقوا فى البرارى والفلوات *
ورجع ظافرا منتصرا * بعد أن أسر منهم مائة وخمسين نفرا * فدخل
المدينة بموكب عظيم * وعند دخوله سلم له نحو ستمائة من أرناؤط
تلك الاقاليم * وطلبوا أن يشملهم بنظره * ويستخدمهم بين
جنوده وعسكره * فتحقق بفراسته منهم سلامة الطويه *
وارسلهم لينضموا الى فرقة محمد بك فى قيصريه * وفى الغد بلغ
ابراهيم باشا أن الصدر الاعظم * قد سار قاصده من لاربك بالجيش
العرمرم * وهى بلدة فى تلك الجهات * تبعد عن قونيه ثمانى
ساعات * فوزع فى الحال الاوامر على القواد * بان يكونوا فى اليوم
الثانى مستعدين للحرب والجلاد * وفى الصباح ورد اليه الخبر * بان
الصدر الاعظم قد اقترب بالعسكر * فأخذ فى الاستعداد للحرب
والكفاح * وأمر عسكره بحمل السلاح * فاستعد العسكر كما
أمر * ووطن نفسه على الموت أو الظفر * وكان ذلك يوم الجمعة
الواقع فى التاسع والعشرين من رجب سنة ١٢٤٨ هجريه
الموافقة للحادى والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٣٢
مسيحيه * فكان يوما كثير الغيوم والضباب * بحيث كانت كثافة

السحاب * تمنع أحد الجيشين من ان يرى الآخر وهم فى غاية الاقتراب
فقسم ابراهيم باشا عسكره الى عدة أقسام * وأقام كل قسم فى
مقام * فجعل الالاى الثالث عشر والثامن عشر * الذين لا يهابون
الموت ولا يخافون من الخطر * على الخط الاول * من يمين الجحفل
تحت قيادة صاحب القدر العلى * سليم بك المسطرلى * وعلى
مسافة نحو خمسمائة قدم من هذا الخط * جعل سليمان باشا
الفرنساوى البارع بحركات الحرب بالحزم والضبط * ومعه
الالاى الثانى عشر والرابع عشر * منتظمين على هيئة ترجاهم
الفوز والظفر * وجعل سليم بك حجازى فى القلب * ومعه صفوفه
المزدوجة متأهبة لاضرام نار الحرب * وأقام للحرس عن يمينه
وشماله على نحو مائة وخمسين خطوه * فرقتين من الخيالة ذوى
البسالة والسطوه * وكل واحدة من الفرقتين * مؤلفة من ألا بين
احداهما تحت قيادة أحمد باشا المنكلى * والاخرى تحت لواء
أحمد بك الاسلامبولى * وجعل أمام الخط الاول * من مركز
الجحفل * ثلاث طوابى من الطوبجيه * الذين لهم معرفة بالامور
الحربيه * وكذلك قدم من الطوبجية طابيتين * وجعلهما امام
الصف الثانى ثابتتين * حيث كانتا مائلتين نحو القلب * قادرتين
على المحاماة والضرب * ووضع وراء قلب الحرس على رؤس صفوف

الخياله * فرقة من الطوبجيه ذوى الشجاعة والبساله * وفى طرف الجناح الايمن والى الوراء * اصطفت الدالاتيه والبدو متهيئة للالتقاء * وجعل فى جبل قرية سلج طابورين من قواصة الاتراك الذين كانوا اسلموا الطوعا وانتظموا حديثا للقتال والعراك * وهكذا كانت العساكر المصرية مرتبة بعضها على شكل خطوط مزدوجة مرصعه * وبعضها على شكل قلاع مربعه * حتى كانوا من أى جهة أتاهم العدو * يستطيعون ان يلتقوه بغاية الثبات والهدو * وكان الجيش مستندا الى قونيه من الوراء * والى جانبه الايمن فلوات قفراء * وعن يساره قرية سلج * التى سبق عنها الشرح * ومن امامه سلسلة من الجبال * وعند حضيضها عساكر الاتراك مستعدة للقتال * فعلى هذه الكيفيه * كانت مراكز العساكر المصريه * واستعداداتها الحربيه * وأما جيش العدو فكان مرتبا على أربعة صفوف * بحسب ما هو بترتيب حركات الحرب معروف * فكان الاول منها منتشرا والثلاثة الأخر متجمعه * وكانت فرقا فرقا على عدة باشاوات موزعه * وكانت الطوبخانة مقسمة من مدفعين على كل طابور * ومن أربعة على كل الاى بالعدد المحصور * وكان خير الدين باشا على الجناح الايمن قد تصدر * وسعد الله باشا على القلب قد تأمر * والصدر الاعظم أخذ لنفسه قيادة الجناح الايسر * وكانت هذه الجيوش مستندة

من الوراء الى الجبال * وعن يمينها قرية سليح وتلك التلال * والى جانبها الايسر * البر الاقفر * ومن امامها قونيه والعساكر المصريه * وطريق القسطنطينيه * بين الفريقين على السويه وكانت عساكرها مؤلفه * من خمسة وخمسين الفا وثلاثة وتسعين مدفعا من اجرام مختلفه * وكان الجيش المصرى ثلاثين ألفا غيرزائد ومعه ستة وثلاثون مدفعا من جرم وقياس واحد * ولم يكن امامه سوى أمرين اما الاقدام والانتصار * واما الانهزام والبوار * وكان الصدر الاعظم قد وطن نفسه على ان يذهب قتيلا أو يرجع غالبا * وأقام أحمد فوزى باشا عمه نائبا * حتى اذا اقتضى الحال لا يقع فى العسكر اختلال * غير أنه لتراكم الضباب وتكاثف السحاب * قد أقام الفريقان * برهة من الزمان * لا ينظر أحدهما الفريق الآخر * ولا يفعل أدنى حركة بان يتقدم أو يتأخر * وعندما ظهر النور قليلا * وأزال من الضباب ما كان حجابا ثقيلا * انطلقت أعين الرجال والابطال * ورأى الجيش المصرى عدوه منتظما على مسافة ثلاثة اميال * فأمر ابراهيم باشا الجناح الايسر أن يلوى قليلا الى الوراء * ولكن بكل انتظام بحيث لا تتمكن منهم الاعداء * لانه رأى ان معظم حركتهم متجهه * الى نحو تلك الجهه فامتثل وأطاع * وألوى نحو مائة ذراع * واذا بعساكر الاتراك قد هجمت مثل السباع * واندفعت الى ساحة القتال أى اندفاع

فبدأت الحرب بقلوب غير جازعه * واطلقت مدافعها طلقات متتابعه * الا ان المصريين لم يقابلوا تلك الحركة بكن تأثر * بل لبثوا ينتظرون تقدم العدو أكثر فأكثر * وعند ذلك أخذ ابراهيم باشا يفتقد الصفوف * ويجول بين العساكر ويطوف * ويشجعهم بالكلام * ويحرضهم على الثبات والاقتحام * ثم سار الى جهة اليمين نحو بئر هنالك قديمة السنين * ليقف على حركة جيش الاعادى ومعه ألف وخمسمائة من العرب الهنادى * وجماعة من أعوان حربه * الذين كانوا يفوزون بقربه * فلما وصل اليها * وأشرف عليها * اتفق ان شقت حجب الضباب * وزال قتام السحاب فامكنه حينئذ ان يرى جميع الجيوش السلطانيه * ويتأمل حركاتهم الحربيه * وكان جيش فرسان الاتراك * قد انفصل عن المشاة وتقدم للعراك * أملا ان يفوز بالفخر والسطوه * وأصبح بينه وبين جانب الجيش الايسر نحو الف خطوه * فعزم ابراهيم باشا من غير تباطى * ان يدخل بينهما بالجيش الاحتياطى * وأمر البدو ان يتقدموا على الاثر * ليقفوا على حالة ذلك العسكر * فساروا قليلا * ولم يلبثوا طويلا * حتى رجعوا منكسرين * ومن كل الاعداء متشتتين * فأمر حينئذ جيش الفرسان * وجيش الاحتياط والمشاة من الشجعان * ان يتقدموا امام العسكر * ويهجموا على جناحي العدو الايمن والايسر * فاندفعوا جميعا

كالسيل العرمرم * ونزلوا على الاعداء نزول القضاء المبرم * وقد هانت عليهم الآجال * فى بلوغ الآمال * فصدمتهم الاعداء صدمة تزعزع الجبال * وتردّ أسود الدحال * عن حماية الاشبال * وفى الحال * اشتدّ القتال * وتعاظمت الاهوال * وتكبكبت رؤس الابطال * فى ساحة المجال * وجرى الدم وسال * وتقطرت مهج الرجال * ودار بهم ملك الموت من اليمين والشمال * وكانت طلقات البنادق والمدافع * ترج الارض كالزعازع * وهماهمات الرجال والفرسان * وحر الضراب والطعان * يحرق الارض فتطير حصاها شرارا * ويصعد غبارها دخانا ونارا * وكان جيش الاتراك يحاول مع شدة العراك * ان يخرق صفوف المصريين * ويشتتهم ذات الشمال وذات اليمين * ولكنهم ثبتوا ثبوت القلاع * وامتنعوا عليه أشدّ امتناع * فكان العدو لا يستطيع ان يحارب كمحاربتهم * ولا يأمن على السلامة من مقاربتهم * ويمكننا بان نقول ان كلا من الفريقين قد فعل فى صفه * ما يعجز القلم عن القيام بحق وصفه * فكان الرجال يهجمون على الابطال والابطال على الرجال * وكثيرا ما يلتحمون اختلاطا فى ضيق المجال * فيراهم الناظر كخيالات سوداء يقطر الدم منها * وقد تدرعت من العجاج بعدان تمزقت أثوابها عنها * وكان صوت البارود يزيد اصواتهم ارعادا * ودخانه يزيد ألوانهم سوادا * حتى تجسم الويل للابصار

واشتدت ظلمة الليل فى وسط النهار * وعما كان يزيد فظاعة ذلك
المنظر المخيف * دوى الحرب العنيف * وتراكم ذلك الضباب
الكثيف * الذى كان لم يزل يحجب بعضهم عن البعض * فيلتطم
الجفل بالجفل و ينصرعون جميعا الى الارض * وقد تفطرت
أكباد تلك الجبال * وتمزقت أحشاء تلك السهول والتلال * من
صرخات المتوجعين * وأنات الكراديس المقتولين * وقاتل المصريون
فى ذلك النهار * قتالا يحير الافكار * و يذهل العيون والابصار
وكان بطلهم ابراهيم * وسيدهم العظيم * يجرى بينهم أسرع من
النسيم * وهو يهونون عليهم الاهوال * ويحرضهم على الثبات والقتال
و يقتحم بنفسه أحيانا أشد المخاطر * و يفعل مالا يفعله أشجع
العساكر * بهجومه على الكتائب والمواكب * وعدم اكتراثه
بالاهوال والنوائب * حتى خيل لجنوده انه لم ينظر العدى * أولم
يعرف الموت والردى * و بينما كان القتال هكذا شديدا * تقشعر
منه الابدان ولو كانت حديدا * أظهر المصريون الشجاعة والثبات
وهجموا على أعدائهم من ثلاث جهات * غير مبالين بالمخاطر
والآفات * وحكموا حرابهم فى الصدور والهامات * فلما نظر
الاتراك الى جلاد المصريين وثباتهم * وشدة هجماتهم وثباتهم
قطعوا من سلامتهم الامل * وأيقنوا بالهلاك وحلول الاجل *
فركن بعضهم الى الانهزام * بلا ترتيب ولا انتظام * فكانوا

يتقلبون فى تلك القفار * كما تتقلب الامواج فى لجج البحار *
و بينما هم كذلك * اذ صدمهم الاسد الفاتك * والبطل المعارك
الذى اشتهر بالشجاعة فى الوقائع والمعامع * أحمد باشا المتكلى
بالالاى الرابع * فأراهم العجائب * وفعل بهم الغرائب * فخافوا
من هول البلاء * وارتدوا راجعين الى الوراء * حتى وقعوا على باقى
اصحابهم * وهم يرون الموت قد أحاط بهم * فاختبط جيشهم طوله
بالعرض * وأمسى لشدة الارتباك بعضه يصدم البعض * وحينئذ
اشتد الويل * وازدحمت الرجال بالخيل * حتى كانت لهم ساعة
تحزن الناظر * وتوجع القلوب والضمائر * لا يستطيع القلم ان
يصفها * ولا من لم يشاهدها ان يعرفها * وأما الصدر الاعظم
فانه لما رأى ذلك الخطب العرمرم * عظم الامر عليه * واسودت
الدنيا فى عينيه * وخاف من الهلاك والعطب * وعلم انه ان ولى
وهرب * وقع تحت الملام والعتب * فلم يجد أوفق من القتال
والثبات فى مواقف الاهوال * فتقدم الى قدام * بهمة واهتمام
واقتحم معركة الصدام * عازما على ارجاع النظام * وتجديد الحرب
والاقتحام * بعد ذلك الفرار والانهزام * وكان قد قتل تحته فى ذلك
اليوم ثلاثة أحصنه * وتجرح الرابع فى عدة أمكنه * فجعل يجول
بين العساكر * كانه الاسد الكاسر * حتى وصل الى الالاى
الخامس والتاسع والسابع عشر * الذين كانوا من المشاة وأمسوا

فى

فى حالة الخطر * فبينما هو يجول من خلف وامام * و ينشطهم على الهجوم والاقتحام * اذ لمحه ضابط من ضباط المصريين * فعلم من ملبوسه الثمين * انه من أكابر القواد * الذين عليهم الاعتماد فأمر بعض البدو أن يلحقوه * فلحقوا به وضايقوه * وسدوا فى وجهه طرق الخلاص * وهموا ان يطلقوا عليه الرصاص * فاشار عليهم ان لا يفعلوا * وأوقفهم عما عولوا * ثم أعلمهم بحاله خوفا من حلول المنيه * وانه الصدر الاعظم وقائد الجيوش السلطانيه فحينئذ تركوا ابنادقهم وتقدموا اليه * وأخذوا سيفه وسلاحه وكل ثمين عليه * وفى الحال جاء سليم بك قائد الطوبجيه * وأحمد أفندى ياور ابراهيم باشا فى الامور الحربيه * وأخذوه من أيدى البدو بكل احترام واعتبار * الى مولاهم ابراهيم باشا الباسل القهار وكان قد مضى لهم ساعتان فى الحرب * وشدة الكفاح والطعن والضرب * من حينما أسروه * الى ان أتوا به الى مولاهم وأوصلوه فالتقاه ابراهيم باشا بالوقار * ومزيد الاعتبار * و بالغ فى اكرامه وشيعه بخفر يليق بشخصه ومقامه * وأوصى خفره أن يوصلوه الى قونيه بالتبجيل والتكريم * و ينزلوه فى الدار التى هو فيها مقيم * هذا وان نار الحرب والجلاد * لم تزل بمزيد ازدياد * اذ الاتراك كانوا لشدة بلاهم * لم يعلموا بأسر مولاهم * ومع ما كان من انهزام الصفوف * تمكن قوادهم من ارجاع الباقين الى النظام المألوف

فثبتوا بالعزم القوى * وهجموا على المصريين على هيئة الخط الملتوى * ليحيطوا بهم من ثلاث جهات * و يقطعوا خط اتصالهم بقونيه و يرموهم بالشتات * على انهم لو تمكنوا من ذلك * لرموهم بافظع المهالك * وكسروهم كسرة هائله * وخسروهم أتعابهم سنة كامله * بحيث لا يعود يمكنهم الثبات * ولا تعويض مافات * وشرع الاتراك على هذا العزم يتقدمون * وكانوا يأملون انهم بحركتهم هذه ينجحون * فثبت جناح الجيش المصرى ثباتا يقضى بالعجب و يستحق ان يدون باحرف من ذهب * اذ على ذلك الثبات والصبر * يتوقف النصر والكسر * فلما رأى الاتراك ثبات المصريين استبعدوا النجاح وولوا منهزمين * فتبعتهم الفرسان والابطال من اليمين والشمال * وأنزلوا بهم من الاهوال * ما يقصر عنه المقال وأخذوا منهم نحوا من ثمانية آلاف أسير * وستة وخمسين مدفعا بين صغير و كبير * وكسبوا أعلامهم وراياتهم * وجميع ذخائرهم ومهماتهم * بل كسبوا منهم مالا يحصى * وغنموا ذخائر وصفها لا يستقصى * وقد قتل من الاتراك فى ذلك اليوم المهول * خمسة آلاف رجل وفقدوا امثالها من الخيول * وتركوا ضعفها مجاريح منطرحة فى تلك السهول * وأما خسارة المصريين * فكانت ثمانمائة وخمسين * ومن المجاريح الفا وعشرين * وكان ابتداء هذا القتال بين العسكرين * من بعد الظهر الى ما بعد المغرب

بساعتين

بساعتين * فاستمر نحو سبع ساعات ونصف * على ما سبق من التفصيل والوصف * وبعد ذلك رجع الجيش المصري الى قونيه ظافرا منصورا * وغانما موفورا * فدخلها على ثلاث ساعات ونصف من المساء * وهو سكران بخمرة النصر على الاعداء * ولما عاد ابراهيم باشا الى منزله في سراية قونيه * أراد ان يرى الصدر الاعظم مرة ثانيه * فأتى الغرفة التى كان أنزله بها ذلك اليوم * فوجده راقدا مستغرقا فى النوم * فايقظه بكل لطافة ووقار * وسأله بكل رقة واعتبار * ان يحضر ان شاء الى ديوانه * ويستأنس به وباعوانه * فنهض وتبعه بالعجل * وهو فى غاية الخجل * ولما بلغا المكان * ودخلا الديوان * أعطاه ابراهيم باشا المحل الاول ليجلس به * وجلس هو بقربه * وكان يعامله معاملة حسنه * ويعتبره كاول رجل من وزراء السلطنه * ويحتفل له احتفالا زائدا * أعجب به كل من كان شاهدا * ثم أمر ابراهيم باشا بالقهوة ان تحضر * ولما أحضرت أبى ان يشرب بها محمد رشيد واعتذر * وقد زاد قلقا وغما * وخاف ان تكون ممزوجة سما * وطلب عوضها شربة من الما * لانه كان فى غاية الظما * فأمر ابراهيم باشا ان يأتوه بكاس شربات فقال انى أفضل الماء على جميع المشروبات * فانتهر ابراهيم باشا رئيس السقاة وقال * أحضر كاس شربات بدون امهال * فاذ ذاك لم يعد محمد رشيد * يجد بدا من القبول بعد ذلك التشديد * ولما ملأ

الساقى الكاس وأتى بها * كان محمد رشيد يتمهل عن أخذها وشربها * فمد ابراهيم باشا يده بسرعه * وشرب منها قسما كبيرا من أول جرعه * ثم قال له خذ ولا تسىء بنا ظننا * فاخذها وشربها مطمئنا

(الباب التاسع)

فى عقد الصلح مع الدولة العلية * والحكومة المصريه

ورجوع ابراهيم باشا الى سوريه

وكانت هذه الكسرة القويه * قد وصلت اخبارها الى القسطنطينيه * بسرعة كليه * فخافت جميع الاهالى * واضطرب الباب العالى * ولم يعد يمكنه بعد تلك الحال * وفقد الهمات والابطال * الا التسليم للقضا * واختيار الذى يغلب الرضى ففكر رجال الدولة فيما يجبر الخلل * فلم يجدوا أوفق من الصلح فى نجاح العمل * ولكن كانوا يريدون حسم الداء * وتسكين تلك الداهية الدهماء * على طريقة مناسبة مرضيه * بحيث لا تضر بالدولة العليه * فطلبوا اذ ذاك من فرانسا توسط الحال * ورفع الحرب والقتال * فاجابتهم الى ذلك السؤال * و بعث وكيل سفارتها البارون دى فارين * الذى كان من أذكى رجال السياسة المعتبرين * بالرسالة الآتيه * الى ابراهيم باشا صاحب

الهمة السامية

حضرة صاحب القدر الشامخ والمقام الباذخ

انه لمن واجباتى ان اخبركم بان الباب العالى لما كان يحب ان يضع حد للحرب القائمة التى تجلب الدمار * وتخرب الديار * فقد بعث بخليل باشا الى الاسكندريه * وفوض اليه أمر ايجاد علاج للخلاف الحاصل وتسويته نهائية * مع حضرة صاحب السمو محمد على باشا والدكم المعظم واذ كان هذا المشروع ناشئا عما كلفت تبليغه من جانب الباب العالى الى حضرة صاحب السمو والدكم الماجد رأيت انه من الفرض الواجب على ان أعلمكم به وأنا بصفة كونى وكيل دولة هى ولو لم تكن تتمنى على الدوام الانجاح ونمو السلطنة العثمانية لها أيضا أمانة كلية فى الحضرة الخديوية ولذا تفوض الى أيضا ان اتخابر مع سموكم بتوقيف الحرب والقتال وبناء على ذلك قد حررت لكم هذه الرسالة راجيا بعد ان تكونوا وقفتم عليها الا ترون مكانا لمداومة اسباب النزاع والعداوة التى غائلتها اللوم والعار والمسؤلية على مسببيها وعلى منها تتولد الصعوبات التى تحول دون المقصود وتمنع انهاء الخلاف المباشر فيه فاذا تقرر ذلك فلا غرو انكم تحولون تقريرى هذا محل الصدق والصواب وتتوقفون عن التقدم الى امام وتصدرون أوامركم الى قواد جيشكم بالتوقف

والتأخير وانى لعتقد اعتقادا جازما بان سموكم ترغبون القاء السلامة والتأمين ولا ترضون بما يناقض ذلك فارجو متى وقفتم على كتابي هذا ان تكونوا على يقين مما تضمنه من المقاصد السليمة وها أنا بانتظار افادتكم التى ستشرفونى بها صحبة ناقله وقد اغتنمت هذه الفرصة لاقدم لسموكم خلوص احساساتى واعتبارى التام

وكيل سفارة دولة فرانسا لدى الباب العالى (الامضا)

البارون دى فارين

من ترابيا فى ٩ خلت من شهر كانون الثانى سنة ١٨٣٣

فلما وقف ابراهيم باشا على هذا الكتاب وقراه * واطلع على فحواه * أجابه بما معناه * انه لما لم يكن الا قائدا للعساكر المصريه * فلا يمكنه الان يسلك بحسب الاوامر الخديويه * وبناء عليه ليس بوسعه أن يتوقف ويضيع الفرصه * ثم حمل الصدر الاعظم ان يعلم الدولة بتقدمه نحو برصه * وذلك ليس على نية حرب ولا جلاد واغا لاجل القصد والمراد * هو لداعى هجوم الشتاء ودخول فصل البرد * وعدم وجود ما يسد به احتياج الجند * ثم ارتحل من ذلك المكان * بالرجال والفرسان * فى التاسع والعشرين من شعبان وعند وصوله الى كوتاهيه * أرسل له البارون دى فارين رسالة ثانية * يطلب اليه * ويشدد عليه * ان يتوقف فى مكانه * برجاله

وفرسانه

وفرسانه * ولا يعود يتقدم * ولا خطوة قدم * الى أن ينتهى الحال ويرتفع النزاع والجدال * على طريقة مرضيه * للحكومة المصريه والدولة العثمانيه * وكتب أيضا الى الحضرة الخديويه * يعلمها بهذه القضيه * مشددا على جنابها الشريف * ان تأمر ولدها بالتأخير والتوقيف * فلما وقف ابراهيم باشا على هذه الرساله * واطلع على ما تضمنته من المقاله * أجابه بهذا التحرير * وكان أبوه قد أمره ان يتوقف عن المسير

حضرة صاحب المقام السامى حليف الشرف والفخار محبنا وصديقنا البارون دى فارين

لقد حظيت برسالتكم الوداديه التى بعثتموها الىّ بتاريخ ١٠ رمضان سنة ١٣٤٨ و ٢٩ كانون الثانى سنة ١٨٣٣ ووقفت على ما تضمنته من المحبة والخلوص ثم اننى قبل ان أسير من قونيه قد عرفت الباب العالى بواسطة الصدر الاعظم ان الذى حملنى على الخروج من قونيه والتقدم الى برصه لم يكن الاداعى عدم وجود ما يسد احتياجات الجيش وقدوم فصل الشتاء البارد ونقصان الحطب واذ لم يكن لى ادنى قصد فى حركتى الا السبب الذى ذكرته فاذا تقدمى كان من هذا القبيل واذ قد وصلت الآن الى كوتاهيه ووجدت فيها ما يكفى و يقوم بأود الجيش فقد صممت على الوقوف هنا امتثالا لأوامر والدى وولى نعمتى الى ان ترد لى منه

افادة جديدة فى هذا الشان وانى سأعلم الباب العالى بذلك أيضا راجيا ان أكون قد وفيت برغوبات سعادتكم الودادية التى يسرنى جدا ان اقوم بايفائها وانى أنتهز هذه الفرصة لا تفحص عن عزيز سلامتكم

(الامضا)
ابراهيم

من كوتاهيه فى ١٥ رمضان سنة ١٢٤٨

وكان ابراهيم باشا قد أطلق سبيل الصدر الاعظم فعاد الى الاستانه وكانت الدولة سمت أمين رؤف باشا صدرا أعظم مكانه * ولما كان اليوم السابع عشر من شباط سنة ١٨٣٣ مسيحيه * قدم البارون روسين سفير فرانسا الى القسطنطينيه * لمثل امام حضرة السلطان * وتخابر معه بهذا الشان * ووعده بانهاء الخلاف على أى وجه كان * وأرسل الى الحضرة الخديويه * برسالة وداديه * يطلب منها ترجيع الجيوش المصريه * الى بلاد سوريه * وهذه صورتها

حضرة صاحب السمو والمقام العالى

لا يخفى عليكم المركز العسر الذى بات فيه الباب العالى من جرى نجاح ولدكم ابراهيم باشا حتى انه اضطر أخيرا ان يقبل مساعدة دولة روسيا التى كانت قد عرضتها عليه ولما بلغه أخيرا حسن نوايا كم وميلكم الى فصل الخلاف طلب توقيف تلك المساعدة

ولكن لسوء الحظ تأخرت الافادة فوصلت العمارة الى البوسفور
والآن قصدي ان أحملكم على قبول ماعرضه عليكم خليل باشا
معتمد الباب العالي من باشاويته عكار بعض أطراف سورية لكي
توفروا أسباب نزع السلاح ليس في الشرق فقط بل في الغرب أيضا
لان ذلك أصبح يضر بميزانية أوروبا وبصوالحنا أيضا فاذا أرجو سموكم
ليس فقط من أجل صوالحكم الخصوصية بل من أجل سلامتكم
وأمنكم الذاتي أيضا ان لا تتصلبوا في عزمكم وان تسحبوا
عساكركم من الاناضول حالا والا فيمزيد الاسف أقول لسموكم
انكم اذا كنتم لم تزالوا مصممين على عدم التوقف تحملون دولتي
على ان تمد نحوكم ذراع العدوان الامر الذي لا ترضاه وأنا قد تعهدت
للباب العالي بذلك اذا اقتضته ظروف الحال ودولتي لا يمكنها الا ان
تنفذ ماقد تعهدته وكيلها المطلق وان تكونوا على يقين مما تضمنته
رسالتنا من المقاصد السليمة وسموكم تعلمون مابين دولتي وبينكم
من الوداد ومراعاة الخاطر فلا تحملونا اذا على ان نخالف ظننا
بمقاصدكم السامية ومن طيه تجدون صورة الرسالة التي بعثت بها
الى جناب ولدكم الامجد هذا وانني اغتنم هذه الفرصة الثمينة
ياصاحب القدر والفخر لأؤكد لسموكم اعتباري التام

النيس اميرال سفير فرانسا الذي الباب العالي (الامضا)
البارون روسين

من ترابيا في ٢٣ شباط سنة ١٨٣٣

فاجابه الخديو الاعظم * والداوري الاكرم الافخم بما ملخصه وصلتني شقتكم الرسمية بتاريخ ٢٣ شباط سنة ١٨٣٣ وفهمت مضمونها أما قولكم انه ليس لي حق ان أطلب أكثر من باشاوية عكاو بعض اطراف سورية وبناء عليه يجب ان أخرج عساكري من الاناضول بدون ادنى عاقبة ثم تهددني ان لم أفعل ذلك فهلا يا جناب السفير المحب باي حق تطلب مني ذلك الم أغلب أولم أكن قادراً ان أغلب بعد فكيف تكلفوني ترك حق كهذا غير اني أرجو ان مقاصدنا ونوايا دولتكم الفخيمة لاتريد مني ذلك ولا تحوجني اليه بل تعاملني بالعدل والانصاف واني أقول ثانيا انني قد غلبت وظفرت وقد يحق للغالب ان يضع الشروط وليس للمغلوب واني لا أتنازل عما قد طلبته من معتمد الباب العالي واذا اقتضت الحال فاني مستعد أن لا اعيد السيف الى غمده قبل ان أنال المقصود أو أموت شريفا بين جيشي وامتي واني يا جناب السفير اعتقد اعتقاداً جازماً بعد التكم وجودة تدبيركم ولذا أرجو أن تصادقوا على تصرفي وان تسندوا لدى الباب العالي مطاليبي التي بلغتها الى خليل باشا والسلام أحسن ختام انتهى ملخصا (الامضا)

محمد علي

من

من الاسكندرية فى ٨ خلت من أدار سنة ١٨٣٣

ولما بلغت هذه الرسالة السفير المشار اليه * واطلعت الدولة على ما احتوت عليه * لم تجد بدا من ملافاة الامر * واخماد ذلك الجمر على طريقة مناسبه * خوفا من العاقبة * ففوضت البارون روسين بفض هذه القضيه * وانها تتنازل للحضرة الخديويه * عن جزيرة كريت وسوريه * وتسلم مقاليدهما للحكومة المصريه * فارسل البارون روشين * البارون دى فارين * فى التاسع والعشرين من أدار * الى كوتاهيه وتلك الديار * لكى يتخابر مع ابراهيم باشا بهذا الصدد * وعند وصوله الى ذلك البلد * التقاه ابراهيم * بالترحيب والتكريم * واحتفل له الاحتفال العظيم * و بعد اقامة فروض الواجبات * دارت بينهما المخابرات * فطلب ابراهيم باشا علاوة على كريت وسوريه ولاية أدنه * ولما كان البارون المشار اليه مفوضا اليه التفويض التام من طرف السلطنه * سلم له بهذا الطلب * حسما للنزاع والتعب * وتحررت شروط العهده * فى الثامن من نيسان والسادس عشر من ذى القعده * فامضيت من الطرفين * وصادق عليها كل من الدولتين * وهكذا انتهى الحال وارتفع النزاع والجدال * وخمدت نار الفتنة بعد الاشتعال * ورجع ابراهيم باشا الى قطر الشام * بالعز والاحترام * بعدما بلغ المرام وأطاعه الخاص والعام * ووقعت هيبته فى قلوب الانام * فدارت

بقدومه البشائر * وقامت الافراح وابتهجت العشائر

(الباب العاشر)

في ذكر من قدم على ابراهيم باشا من شعراء العصر
وقدم له المدايح والتهاني في نوال هذا النصر

فلما قدم ابراهيم باشا الى قطر الشام * كما تقدم الكلام * قصدته شعراء الزمان * من كل جهة ومكان * وقدموا له المدايح والتهاني فمنهم الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني * شاعر زمانه * وعلامة عصره واوانه * فقال يمدحه بهذه القصيده * ويهنئه بتلك الانتصارات السعيده * مستفتحا بذكر حضرة الخديو صاحب الاوصاف الحميده

يا فاتح القطرين أنت محمد * هل دون فتحك في البلاد مسدد
أنت العلي كما يقال ونسله * منك المعالي لم تزل تتولد
سدت البلاد بهمة نبوية * فالارض دارك والخلائق أعبد
وأتيتنا باسم النبي وصهره * وغزوت غزوهما على ما نعهد
جبل بمصر الى الحجاز وطله * لحق الشام وظل منه الابعد
لو كنت تنهر أرضهن تزلزلت * ولو ازدجرت النيل أوشك يجمد
يا سيدا اعرف اسمه بالرفع لا * بالخفض والتنوين أنت المفرد
بك يستعين الجيش حيث رميته * بدواوايك الصوارم تعبد

لما بعثت من الكنانة سهمها * حلفت عليه انه لا يصرد
مازالت النار التى وقدت له * بردا عليه وناره لا تبرد
من مثل ابراهيم الاسيفه * يوم الكريهة والقنا المتأود
كالسيف الا انه لا يتقى * حذرا ويحسب انه لمخلد
ملك يخاف الله ليس بحاسد * ويخاف سطوته الملوك ويحسد
ياايها القمر الذى من حوله * شهب الصواعق والسحاب الاسود
أرأيت ما أجرى عداتك همة * سبقوا ولكن فى الفرار وأجهدوا
ولى العدو يكاد يسبق مهره * و يود لو أن كل الطريق فينفد
أخذ الصحابة بعضها وتخلفت * منها رجال فى البقيعة سجد
لو كنت تصغى لاستمعت نوادبا * فى الترك تندب أهلها وتعدد
أرسلت قبل الجيش جيش مهابة * جيش العدو لهوله يتبدد
فاثبت مكانك وابعث اسمك بعدها * وكفى القتال به وأنت موسد
ولقد ضربت حصون عكاء التى * كانت لهيبتها الفرائص ترعد
الله أكبر ليس دونك قلعة * تحمى ولا حصن أشم ممرد
خافت جبال الارض منك وقد رأت * هذى الفعال بمثلها تتردد
وتحصنت منك الاسود فلا تلم * قوما باغلاق الحصون استنجدوا
أسألت عبد الله أين قلاعه * ورجاله وفؤاده المتوقد
أمسى يشدد قومه فغدا ومن * لفؤاده بفتى تراه يشدد
لما مررت به أسيرا خاضعا * خشعت له أبصار من يتفقد

لاحدّ دونك فى المكارم والعلى * وعسى البقاء عليك ليس يحدد
فالظلم الاعن طباعك يتقى * والعود الاعن جنابك أحمد

وقال أيضا مؤرخا فتح عكا

فى فتح عكا بر دنار معالم * دار الخلايل وللديار به البكا
رأس الثمان وأر بعين بطيه * ميتان مع الف فيا لك ربكا

سنة ١٢٤٨

وكان قد اقترحهما عليه الامير بشير * ليقدمهما الى مقامه الخطير
وهما يتضمنان ثمانية وعشرين تاريخا على وجه غريب *
واسلوب عجيب * وذلك يحصل من كل شطر من أشطرهما على
طريق حساب الجمل * ومن معجم كل بيت ومن مهمله ومن جمع
مافى كل شطر من المعجم مع مافى غيره من المهمل * جاريا فى ذلك على
الطرد والعكس فى الحروف والشطور * بين تقديم المهمل تارة
وتأخيره أخرى والمخالفة بين الاعجاز والصدور * وذلك من
الطرق المبتكرة فى هذه الصناعه * والتاريخ الناطق لفظا فى
مثل هذا مما يدل على تمام البراعه * وممن قدم له التهانى فى هذه
الفتوحات السعيده * والانتصارات المجيده * الاديب الفاضل
والحاذق الكامل * اللوذعى الذكى * الشيخ أمين الجندى فانه
مدحه بموشحات باهره * وقصائد نفيسه فاخره * منها قصيدته

اللاميه * التي ذكر فيها فتوحاته الشاميه * وهي من أرق الشعر وألطفه * وأجود النظم وأظرفه * كثيرا ما تلهج الناس بايرادها * وتعتني في غالب الاوقات بانشادها * ومطلعها قوله

عرج أخا البأساء نحو بني العلى * والثم ثرى أعتابهم متذللا
وابسط أكف رجاء كسرك عندهم *
واجر الدموع على الخدود توسلا
ودع التعجب من شجاعة من مضى * من قبل واترك عامرا ومهلهلا
وزن الرجال فان في افرادها * من لا يزال باف ليث في الملا
ان قيل ابراهيم جاء مجاربا * سقطوا وان كان الكلام تقولا
هو سيد الوزراء درة عقدهم * وأجل من بالمكرمات تسربلا
في حكمه ترعى الضواري والظبا * وبعدله أضحى الزمان مجملا
فاق الاوائل سوددا وفخامة * وسما الاواخر رفعة وتفضلا
كم منكرات قد أزال وجودها * عنا وكم من باطل قد أبطلا
لا عيب فيه سوى الثبات وانه * يلقى الكتيبة وحده والجحفلا
ذو همة علوية لو صادمت * في الحرب طودا شامخا لتزلزلا
قامت قيامة عكة من بأسه * واحاط من كل الجهات بها البلا
بمدافع ما ان لها من دافع * وقنابل تحكي القضاء المنزلا
تنسيك بدرا والنضير وخيبرا * وحروب مكة والبسوس وكربلا

لوشام حرلهبها اسكندر * لانداك محكم سده وتقصلا
ووزيرها المدعو بعبد الله قد * أمن الردى ولارض مصر أرسلا
والى دمشق الشام سار بهمة * ومواكب وكتائب لن تصطلى
برزت جميع جنودها لقتاله * فهنالك جد بفتحها واستعجلا
حتى اذا طلبوا الامان أجابهم * وأنال كلا منهم ما أملا
وسرى الى حمص ليقمع من غدا * فى مالها وعقارها متخولا
وبها العساكر والدساكر قد حكت * قطع الظلام اذا بدا متنضلا
زحفوا اليه كالجراد فادبروا * لما رأوه كالسمرمر مقبلا
ذهلوا بصاعقة المدافع فانثنوا * يترقبون الى السلامة منزلا
فترى الكماة ممددين على الثرى * والخيل من وقع القنابل جفلا
والى حماة الشام ساروا بعدها * لمعرة النعمان يخترق الفلا
حتى أتى حلبا فلم ير منهم * الا طريحا أو جريحا مبتلى
اضحت طعاما للطيور لحومهم * ودماؤهم للمشرفية منهلا
والعز فى العرب استنار مناره * ببزوغ شمس مراحم لن تأفلا
فاقام فى تلك الرحاب ولم يزل * بالعز مرفوع الجناب مبجلا
ومنهم العالم العلامه * والاديب الكامل الفهامه * المعلم بطرس كرامه * فانه مدحه بهذه القصيدة الباهره * والخريدة النفيسة الزاهره * معرضا بها بمدح جناب أبيه المعظم عزيز مصر القاهره
فتح به الفتح القريب مؤكد * وكواكب النصر المبين توقد

والدهر

والدهر بعد الغدر أصبح وافيا * يثني عليه بالجميل ويحمد
والعز أشرق في الديار مبشرا * رتب العلى والسعد جاء يغرد
ما المجد إلا بالحسام ولم يدم * شرف الفتى ما لم يصنه مهند
يا يوم مكة لم تدع ذكرا لما * عبر الزمان به وما يتجدد
يوم به الحرب العوان تضرمت * بقنابل مثل الصواعق ترعد
رجمت بشهب كراتها الاسوار من * لهب فدك الشامخ المتوطد
ورمت بصدر بروجها أقلل القضا * تلك المدافع فهي طوعا تسجد
فتخال والهيجاء تلهب حولها * نار الجحيم بجوّها تتصعد
سبقت إليها الصبح أسد عرينة * وبغير صبح حرابهم لم يهتدوا
من كل أروع قد تعوّد في الوغى * أخذ الكماة وما يقول السيد
وتراه يبسم للكفاح كأنما * ورد الحمام لديه نعم المورد
وثبوا على الاسوار ثم تسنموا الابراج والسيف الصقيل مجرّد
وتجلد القوم العداة وإنما * لم يجدهم عند العراك تجلد
نثروا جماجمهم ولم يمنعهم * من سيف اجناد الجهاد مشيد
وجرى النجيع على الطلول فخضبت * كف المعالم والصعيد مورد
أمست خلاء قد تحمل أهلها * وبذاك خبرها الغراب الاسود
مهتوكة الاسوار تشقى بعد أن * كانت هي الحصن المنيع المسعد
عذراء تخطبها الملوك ولم تزل * بكرا إليها قبل لم تمتد يد
حتى أتى وافتض منعة عزها * بحسامه أسد أبو محمد

مولى تعوّد فتح كل محصن * والمرء مشغوف بما يتعوّد
سل أهل نجد والحجاز وسل بني * قحطان عنه والفوارس تشهد
فتح المعاقل والحصون وقادها * بعوائق تذكارهن مخلد
سعدت به هذى الديار وأخصبت * وبأهلها أشقى الديار وتسعد
شهم لو اسم أسيه يتلى فى الوغا * لتفرقت اعداؤه وتبددوا
واذا تعاظمت الامور فلحظة * منه تحل بها الامور وتعقد
لولاه ما سار الحجيج ولم يفز * بزيارة البيت الحرام موحد
أمر الزمان بان يسالم أهله * فاطاعه فيما يروم ويقصد
فاضت يداه بالنوال سحائبا * هتانها فى اللجين وعسجد
ملك تتوج بالمحامد والثنا * وبصارم النصر المديد مقلد
ولقد غدا بين الملوك محمدا * وعلى شأن فضله لا يجحد
ولما أراد الله من شرف به * باسمين سمى وهو نعم المفرد
ذو همة لا منتهى لمرامها * وعزائم ترقى السماك وتصعد
ويجل قدرا ان يقال غضنفر * عنه فكم ليث لديه مجمد
وأنارت الامصار شمس علائه * فغدت تسبح عدله وتوحد
لا تجزعى يا عكة من ذا البلا * وتصبرى فاليوم يعقبه غد
وخذى لك البشرى بكف نواله * ستعيد حيك للحياة وترفد
ويفيض من مصر عليك جماله * فيجود ربعك بالسرور ويعضد
أقسمت بالشرف الرفيع ومجده * وبجود كفيه ولست أفند

لوان نغام الذاخرات مداتحا * منظومها بالزاهرات منضد

لم تحص مدح أبي الخليل وانما * عبد بجيد حلى النظام المنشد

لازال مسعودا يصاحب جيشه * نصر من الله عليه مؤيد

وبفتح عكة سيف ابراهيم قد * قال المؤرخ ظافر ومؤيد

فاجزل جوائزهم وأحسن اليهم * وأفرغ حلل اللطف والاحسان عليهم * قلت وقد تقدم البيتان اللذان اقترحهما الامير بشير على الشيخ ناصيف * ليقدمهما الى مقامه السامي المنيف * فلما بلغاه تحركت منه العواطف الادبيه * وأخذت بعطفيه هزة الاريحيه لما كان منطبعا عليه من حب الفصاحة والادب * وذلك على جمعه بين السيف والقلم شاهد عجب * فارسل يطلب من الشيخ المذكور قصيدة على نسق قصيدة السيد شاكر الخلاوى * التي مدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي * فنظم القصيدة الآتية وقد أودع كل بيت منها تاريخين * وافتتح صدورها بحروف اذا جمعت أعربت عن هذين البيتين

أنت الخليل وفى الاطلال بردا لظى

الطلال عكا ورفض الرعب والحذر

١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

كن بالغا أوج سعد مابه ضرر * أو غالبا لم يزل فى أول الظفر

١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨ ١٢٤٨

وهما يتضمنان ثمانية تواريخ فى كل شطر تاريخان * كأنهما فرقدان نيران

وأما القصيدة فهى قوله

الزهر تبسم نوراعن أقاحيها * اذا بكى من سحاب الفجر باكيها
نور الاقاحى الذى ما بالحياء به * من صحة وصفاء عزمنشيها
تلك الربوع لليلى أين مربعها * عن قصده وسيوف العرب تحميها
أدماء تجنى على الاكباد قاسطة * تبارك الله ما احلى تجنيها
ليلى ولى شوق قيس فى محبتها * فشعره لجنون شابه فيها
خال لها عمه ورد بدا احمرا * فى وجنة حميت عمن يدانيها
لله مقلتها السوداء صائدة * قلوب عشاقها والقرط راعيها
يقول قومى رويدا قد سقمت هوى
* فقلت مهلا شفاءى من نواحيها
لعل صافى نسيم من خمائلها * أتى يهب على روحى فيشفيها
وبى رفاق ليال فى النقاء وقت * بيض اللقاء لها أهنا لياليها
فى جنة حورها تزهو بناو بها * لو كان يصفو خلود فى روابيها
يهزنى ذكرها وجدا فاعلمه * جرحا وروحى تراه من مجانيها
أسأت كتم الهوى والصب كيف له * ستر وأدمعه قد هل واشيها
ليس الهوى يخفى عند رادعه * فكيف ناشره يطويه تعويها

أستودع الله صبراً ما أمارسه * ومهجة عن حسان است أحميها
طاب الهوى والضنى واللوم لى قدمى * أسر فى بذله فى حى أهليها
لبيك يا لحظها الجانى على كبدى * سالت أسى فى الهوى لولا تأسيها
ان تعف طوعاً فان العفو لى أرب * أولا فريحان روحى فى تفانيها
ليت الصبا عاد لى بعد المشيب على * شرط الوفا وهو أدنى من تجليها
بكر محجبة لا تنجلى لجبا * حتى من النجم حتى ما يلاقيها
راق الدلال لها والذل لى أبداً * ولم يرق كأس وردى من تدانيها
دمعى ومبسمها الدر الثمين صدى * لها حتى فبصبر القلب أرويها
لما رأت جد وجدى فى محبتها * قامت بسيما هزل عينها تيها
ظن الجهول الهوى سهلا ولو جهه

مهلا فقد تاه جهلا أو عمى تيها
يمجه غزل عين جاء حائكه * يحيك برد الضنى حلوا لها ويها
انا العيون التى بانت لطائفها * لها خفاء معان ليس ندريها
طلاسم سحرها المرموز طالعة * أشكاله فى سطور حار قاريها
لواحظ خن فى زى الحداد لكى * يبرزن حزناً على قتلى روامبها
الناهبات البواكى المبكيات فقد * كفت عقول البرايا عن معانيها
لولا سوادها ما ابيض فودى عن * شيبى ولا احمر دمعى من تهاديها
عسى الذى بصدود جاء يأمرها * بحبه غلطاً هدى فينهيها

كل الجراحات تشفيها الدواء سوى *
جراحها أين حلت فهي تشفيها
الى العيون التي في طرفها احور * عند الرغاية رقاً من محبيها
و بلاء من زيغها داء تطبيب به * فلا شفينا بعتق من دياجيها
روحي وعيني فدى عين مطهرة * ومهجة للتي بالنفس أفديها
فهي الجميلة لكن بين عاشقها * والصبر جور قبيح من تجافيها
شاع الزمان وطال الوجد وأسفي * ولم يقصر سباقي في تصابيها
اشابني عنها قربا فازهدها * وعيرتني بشئ جاء من فيها
للشيب أنفع طب في الفتى نبأ * عما يوافي وترهيبا وتنبيها
رأس يصغده نامي الصبا عبثا * يادهم الشعرة النداب ناميها
عيش قصير طويل الرعب أعدله * ما يقصر النفس قربا نحو باريها
برق المنى خلب الا أفل حبى * تقر عين به رصدا يسليها
والناس من يشتهي ما المطل حاصله * ومن تقيه عداة نام داعيها
أعوذ بالله من علم بلا عمل * ومن تدارك نفس كل راعيها
لوامة أوقفتني لا أطاوعها * ولا يجب ضعفي ان أعاصيها
حلت لها النار دون العار في دول * من حاسديها بأرض سال واديها
ذرني ومابي هل لوم يلم بها * وقد ملئت وملت من أعاديها
رماحكم يا كرام الحي لا تقفوا * ولا نرعكم بلى جدت دواهيها
كل البلايا من الدنيا متى نزلت * بنا فنيران ابراهيم تفنيها

نار

نار ونور متى قال النزال له * والجود هات يدا لم يلق ثانيها
بنى من العز بنادون أعمدة * سوى قناة له عزت مبانيها
اللوذعى العزيز الباسل الملك الغازى الملاي يد حسبى أياديها
للسيف والرمح والاقلام قد ولدت * راحاته ولسؤال تفاجيها
غاز مهيب حسيب ماجد نجب
صافى الصفات نفيس النفس زاكيها
أقواله خطب افعاله شهب * آراؤه قضب بالله حاميها
أحيى المحامد مفداة مسلمة * أليس أمواله تفنى وتبقيها
ورد مأمن عذل الصحابة لا * يلهو بزهر ولا خمر يعاطيها
جرار خيل على الباس جانبها * والفتح والحتف عدلا بين أيديها
سل قوم عكاء حين اربد مشرقها * والشام والترك لما اسود ناديها
عبد الخليل لعبد الله صاربها * اسما وشبه اسمه راحت اساميها
داس البلاد باذن الله يكسرها * ونكسر السيف نزعا من نواصيها
ماجت سرايا ه امجادا بساحتها * تبقى وفيا وتبلى من يعاديها
أحبب بأصيد تحكى الدهر همته * لكن متى ناب شر من يحاكيها
بعيد قدر عن الامثال ليس له * شبه فما مدحه ما جاء تشبيها
هو الذى ج آل البيت جاء به * بعد الذهاب حلى الطرق جاليها
ضل السعودى وهاب السوادفا * أعداه الا بيرق البيض والبها
رسول حق نزال الحرب سنته * وفرضه الجد بالجدوى يواليها

رام الحجاز وسود الزنج ثم رمى * فيها القتال وأم الروم يرميها
الله أكبر هذا حال من جلس الايام فوق سروج الخيل يدميها
والحمد لله لم تقصر بوا كره * في ما يقوم ولم تحصر مساعيها
غلاب نادوا أجنادي يعاهده * نصر قريب على لطف يماشيها
أحمى المنى والثنا والحزم والكرم ال
أسنى وآيات عدل لست أحصيها
لا عقب الو بل مصرا وهو تاركها * هما بجود يديه جاء يغنيها
بحر و بدر وليث لا يرد له * أمر وصمصامة سبحان باريها
أبو الفتوحات أم الحرب طاهيها * سلطان ساحات بر العرب واقيها
له البلاد باشخاص العباد بما * أبقى التلاد بما حاطت أقاصيها
محمدي على شأنه كسرت * طوارق الروع باسم منه يأتيها
يا يوم عثمان لم يقفل بما كره * الاحقا ياظعون وهو حاديها
زلت به قدم جاءت به مرحا * فولت القهقرى والجسم ينعيها
لسيف سلطان مصر هيبة اتق ال * بلاد حتى بها يا سيف غازيها
فاق الثنا انك الدنيا وقاهرها * سعدا وخاكمها حقا وقاضيها
يا فاتح المنصب الطاري ندى وردى *
على الصدى والعدى يخلى طواريها
أتيت نحوك أحيي الليل عن عجل * وأقتل الخيل جوابا أزجيها
والله يشهد كم ليل سهرت بكم * أجلو رقيمة در تدجاليها

لم يأتها قبل الاشاكر عجبا * وجئت بعد فاهدتني قوافيها
أنفقت صدا عابرأس راح يسلبه * وجئت اسلب أذواء تداويها
لم ألق كفؤا لها ممن رفعت يدي * قبلا اليه فلم أهتم تزجيها
ظل البديع لها عبدا يلم بها * وكل خطب سليم عند راقيها
فانعم بها وهي فلتنعم بمكرمها * جودا ومعظمها جاها ومعليها
راقت كأدنى معانيك الحسان لها * آيات حق كشطر من مبانيها

سنة ١٢٤٨

فلما وقف على هذه القصيدة الانيقه * وتأمل ما فيها من الالفاظ الرقيقة * والمعاني النفيسة الدقيقه * مع ما انطوت عليه من سلامة التركيب * وحسن الانسجام وعذوبة الاساليب * وعلى ما فيها من الصناعة التاريخيه * والالتزامات البديعيه * أعجب بها غاية الاعجاب * ووقعت عنده موقع الاستحسان والاستعذاب * فانفذ اليه عشرة آلاف غرش وخاتما من الياقوت الفاخر * على ما اعتاده من جميل المكارم وبديع المآثر

البابُ الحادي عشر

في ذكر ما اجراه ابراهيم باشا في بر الشام * من الترتيب والنظام * وما اتفق لحضرته في بيروت * مع رجل من ذوي البيوت * وحسن معاملته لسيدي المرحوم الوالد كفاني الله شر العدو والحاسد

ولما استقرت لابراهيم باشا ولاية عربستان * نادى بالعدل والامان * وضبط الامور والاحكام * على أحسن ترتيب وأكمل نظام * وأقام شريف باشا حكمدارا على مدينة دمشق الشام بأمر حضرة الخديو فخر الانام * فعلا فى البلاد شانه * وارتفع قدره ومكانه * وساعدته الاقدار * ودانت له الاقطار * واستنار عموم الاهالى * بصبح عدله المتلالى * فى ظلمات الليالى * ومن اعماله المرضيه * التفاته الى اخبار الرعيه * والبحث عن أحوال الاحكام * وتصرفات الولاة والحكام * بحيث لا يراعون فى الحق أميرا * ولا كبيرا ولا صغيرا * وكان اذا سافر الى بلد * لا يحب ان يدخله بالاحتفال وكثرة العدد * بل متخفيا حتى لا يعلم به أحد * ولم يكن يفرق فى التأديب بين القوى والضعيف * والحقير والشريف ولا يراعى جانب أحد فى القصاص * ولو كان من احبائه الخواص * ولذلك لم يكن أحد من اجناده * أو أكابر رؤسائه وقواده * يتجاسر ان يحيد عن طريق الصواب * بشئ من أنواع الظلم والارتكاب وهو أول من شرع من الحكام * فى جمع عسكر النظام * فى ديار مصر وبر الشام * فلم يكن يشكو منه انسان * الا من هذا الشان لان أهالى عربستان * لم تكن معتادة عليه قبل ذلك الزمان * وفى أيامه انتعشت سوريه * وتمتعت بالسرور والرفاهيه * وذلك باذلاله بغاة الناس * وجمعه سلاح الاهالى من جميع الاجناس

واقتداره

واقتداره على المفسدين * وقتله المردة المعتدين * فعمرت البلاد وراجت الصنائع * وتأسست المدارس والمطابع * وأخصبت الاراضي والاقاليم * وارتفع حق الارملة واليتيم * وكان الناس يهابونه لشدة بطشه وصرامة أحكامه * ولذلك انتشر العدل والامان في أيامه * فان بعض التجار * من أهل المناصف والشحار ذهبوا يشترون غنما * من نواحي حمص وحما * فسطا عليهم قوم من العرب * وسلبوا ما كان معهم من الفضة والذهب * فحضروا اليه ومثلوا بين يديه * وشكوا أمرهم لدولته * فأمر لهم بدفع المال من خزينته * وأرسل واحدا منهم من ذلك اليوم * دليلا على أولئك القوم * فحصل منهم ما سلبوه من الدراهم * وأدبهم بالقصاص الصارم * فتأمنت الطرقات * وتمهدت السبل في جميع الجهات وانقطعت أسباب الفتن والحركات * حتى لم يعد أحد يتعدى على أحد * ولو كان من أكابر العمد * فكانت النعجة ترعى مع الذئب والخروف يبيت في حضن الاسد * وكان مهيبا بهذا المقدار * ومشهورا في جميع الاقطار * حتى اذا أرادت المرأة ان تسكت ولدها الفطيم * كانت تهدده باسم ابراهيم * وفي تلك الايام اعتز الامير بشير بامداده وتأييده * وطالت يده في ولايته وتشييد * حتى كان يحسب ان ذلك الزمان * كان أول حكمه على جبل لبنان * مع انه كان واليا في الجبل المذكور * منذ خمس وأربعين سنة وكسور

ولكن كانت يده مغلولة من مناصب البلاد * فلم يكن يستطيع ان ينفذ أحكامه على حسب المراد * لان مشير الاحكام * في تلك الايام كان تارة لا يقدر أن يعطيه قوة ليتقوى عليهم * وتارة يستميلونه بالرشوة فينعطف اليهم * فلما تولى ابراهيم باشا الذي كانت ترجف الجبال من سطوته * وترتعد فرائص الابطال من همته * انبسطت يد الامير * بهمة هذا الوزير * حتى صارت المناصب وأهل الجبل تخاف من خادمه أكثر مما كانت تخاف من شخصه في الايام الاول

(نادرة)

وكان ابراهيم باشا مع شجاعته * وحسن تدبيره في أبواب الحرب وبراعته * ذا سياسه * ونباهة وفراسه * وله في ذلك نوادر كثيره وحكايات شهيره * منها ان رجلا من أهل رأس بيروت مر ذات يوم على الرمل * وأوغل في ذلك السهل * فرأى في طريقه رجلا مقتولا في تلك القفار * فارتاع لمنظره وحار * وأخذته الرعدة والاقشعرار * فرجع على الاثر * وحدث المتسلم بذلك الخبر * وكان متسلم المدينة يومئذ رجلا على الهمم * موصوفا بمكارم الاخلاق وحسن الشيم * ممدوحا عند الغائب والشاهد * يقال له حسين أفندي راشد * فبادر باحضاره * واستكشاف اخباره واذا هو رجل غريب * ليس له في المدينة خليل ولا قريب * فتألم المتسلم قلقا وكدرا * وتلهب قلبه غيظا وشررا * وقبض من أهل

رأس بيروت على نحو عشرين نفرا * وسألهم عن ذلك المقتول *
فقالوا ليس عندنا علم بشيء مما تقول * فتهددهم بالضرب الاليم
وألقاهم في السجن تحت الترسيم * وكان كثيرا ما يستحضرهم
و يتهددهم * و يسألهم و يتوعدهم * واتفق حضور ابراهيم باشا
في تلك الايام * من مدينة دمشق الشام * فأوقفه المتسلم على واقعة
الحال * وأخبره بما فعل من حبس أولئك الرجال * فقال له انك بما
فعلت قد أخطأت الغرض وركبت الشطط * لانه من المستحيل ان
يكون القاتل أكثر من رجل أو رجلين فقط * وها أنت قد حبست نحو
عشرين رجلا من أهل البلد * من حيث لم يقع لك شبهة منهم على
أحد * ثم أمر باخراجهم من السجن واحضارهم الى ما بين يديه *
فاخرجوهم وأحضروهم اليه * فتأمل فيهم واستنطقهم * و بعد
ذلك أطلقهم * واستدعى باحد الجاويشيه * وأصحبه بخمسة أنفار
من الضبطيه * وقال له أريد منك الآن * ان تذهب الى رأس بيروت
من غير توان * وتأتيني باصحاب الدكاكين والخمارات * الذين
يبيعون المسكرات * فامتثل ما أمر * وفعل كما ذكر * ولم تكن
الا ساعه * حتى جاءه برجلين من تلك الجماعه * فاختلى باحدهما
وقال له أصدقني بالكلام * والا انتقمت منك أشد الانتقام * هل
مر عليك منذ يومين أو ثلاثة أيام * بعض انفار * ومعهم رجل
غريب الديار * فقال لا والواحد الاحد * انه لم يمر على أحد * ثم

طلب الآخر وسأله ذلك السؤال * وتهدده بالمقال * فقال نعم * ياولي النعم * قد حضر الى دكاني منذ يومين عند المساء ثلاثة اشخاص غرباء * فطلبوا مني طعاما * وفاكهة ومداما * فاتيتهم بالمطلوب من المأكول والمشروب * وأقاموا عندي ولعبوا بالقمار * طول ذلك النهار * ثم انصرفوا بالسلامة والامان * وفي الصباح رجع منهم اثنان * فقال له ابراهيم باشا لقد قلت الحق * ونطقت بالصدق وأنا أريد الآن احضارهما منك * حتى أطلق سبيلك وأصفح عنك ثم أمر الجاويش * ان يذهب معه ويعاونه في التفتيش * فتتبعهما جميعا * ولم تكن الا ساعة حتى اتيا بهما الى حضرته سريعا * فقال لهما ويلكما أصدقاني * أين رفيقكما الذي كان معكما في اليوم الفلاني فلما سمعا كلامه * وعرفا قصده ومرامه * رجف قلبهما * وازداد رعبهما * ولم يسعهما الا الانكار * خوفا من الهلاك والبوار ونزول الدمار * فالقاهما تحت الضرب والعقاب * ولما طال عليهما العذاب * أقرا بانهما قتلاه * وأخذا ماله ودفناه * فالتفت ابراهيم باشا الى المتسلم وأرباب الديوان * ومن حضر في ذلك المكان من الاكابر والاعيان * وقال لهم هذان هما المجرمان * ليس كما ظننتم أنتم * فتعجب الحاضرون من فطنته * وقوة ذكائه ومعرفته * فأمر بقتلهما امام الجمهور * وان يلقوهما في ذلك المكان الذي قتلا فيه ذلك الرجل المذكور * وكان ذلك الدكان

الذى سكروابه * وقتل ذلك الرجل بسببه * يقال له دكان الزيدانيه فأمر بهدمه وتعطيله بالكليه * وبقى مهدوما معطلا الى ان خرجت الدولة المصريه * من بلاد سوريه

(حادثة عجيبه * ونادرة غريبه)

وكان ابراهيم باشا كثيرا ما يطوف متنكرا بين الناس * ويجالس أصحاب الصنائع من جميع الاجناس * فيسمع حديثهم وكلامهم و يعرف قصدهم ومرامهم * وأحيانا يذم نفسه امامهم * قاصدا بذلك كشف اسرارهم * والوقوف على حقيقة اخبارهم * ومن غريب الاتفاق * المستحق التسطير فى الاوراق * ما جرى لحضرته فى بيروت * مع رجل من ذوى البيوت * يقال له الحاج على حصرم وكان ذكيا بارعا فى الحديث والتكلم * وهو الذى حدثنى بهذا الخبر ونقلته عنه كما شرح وذكر * قال بينما كنت ذات يوم جالسا فى دكانى * واذا بدرويش قد أقبل علىّ وحيانى * وكان مربوع القامة مهيب المنظر * وعليه حلة من الصوف الاحمر * فرددت عليه السلام * وتلقيته بالترحاب والاكرام * ودعوته للجلوس فجلس بقربى * وقد مال اليه قلبى * ولما استقر به المقام * أخذ يباسطنى بالكلام * و يسألنى عن أحوال الاحكام * وتصرفات الولاة والحكام * وقال انه قد حضر فى هذه الايام * من مدينة دمشق الشام

ثم أخرج من جيبه غليونا صغيرا * وجعل يدخن به و يتأوه كثيرا
وهو يتنهد و يتحسر * مظهرا على نفسه الحزن والكدر *
و يتوجع من قلب محزون * و يقول انا لله وانا اليه راجعون
فاستعظمت أمره وشفقت عليه * واستصغرت كبار الامور
بالنسبة اليه * وسألته عن حاله ومصابه * وسبب حزنه واكتئابه
فقال بالله دعني * ولا تسل عن حزني * فانه شديد * وخصمي عنيد
فقلت أعلمني بواقعة الحال * ومن يكون خصمك من الرجال * عسى
ان تجد لك عن يدي فرجا * ومن هذه الشدة خلاصا ومخرجا * فان
مصابك قد أثر بي * وزادني كربا على كربي * قال خصمي هو
ابراهيم * الذي لا يحن على قلب سقيم * ولا يشفق على أرملة أو يتيم
قلت له بماذا جار عليك * وأوصل اذاه اليك * قال كان لي أخ صغير
كنت أحبه الحب الكثير * وكان عوني وسندي * وأعز عليّ من
ولدي * فأخذه مني رغما وجبرا * وأدخله في سلك عسكره غصبا
وقهرا * وأضرم في فؤادي لهبا وجمرا * وجعلني أبكي عليه طول
الدهر * وجرعني لوعة الخنساء على أخيها صخر * فلما سمعت مقاله
عذرته واستعظمت حاله * وقلت اعلم يادرويش الخير * وقاك الله
كل بؤس وضير * لقد تكلمت بالصدق * ونطقت بكلام الحق * فانه
رجل صارم * وحاكم ظالم * قد أحرق صميم فؤادنا * وأخذ أكثر
أولادنا * وأدخلهم في سلك العسكر * وجعلنا نتحسر عليهم ونتمرر

* نسأل الله وهو نعم المسؤل * ان ينتقم منه بجاه الرسول * ويرفع عناصره * و يكفينا اذاه وشره * ومازلت أحادثه بمثل هذا الكلام * وأهون عليه الامور العظام * وأطعن فى ابراهيم باشا وأدعو على حكمه ان يزول و يتلاشى * وهو ينفخ و يتمامل * و يسمع كلامى و يتأمل * حتى تغيرت حالته وارتاح * واستبدل ذلك الحزن بالارتياح * و بش بعدما كان قد عبس * وجعل ينظر فى و يتفرس ولما انتهيت من هذا المقال * التفت الى وقال * جزاك الله عنى خيرا ووقاك بؤسا وضيرا * لقد زالت الآن كربتى * وهانت على مصيبتى ثم قال انا لله * ولا حول ولا قوة الا بالله * من مصائب الدهر و بلاياه ثم نهض فوقف * وودعنى وانصرف * ولم تكن الا ساعة من النهار حتى أحاط بى ثلاثة أنفار * وقالوا قم يافلان * فان ابراهيم باشا يدعوك الآن * فخفق فؤادى واضطرب * وقلت لهم ياللعجب * ماهو الداعى لهذا الطلب * فانى رجل فقير * فماذا يريد منى حضرة الوزير * فقالوا قم بالعجل * ولا تسل * فزاد خوفى واحتسبت * وقمت معهم وذهبت * ومازلنا نسير * حتى وصلنا الى قصر كبير فادخلونى الى حجرة لطيفه * تحتوى على تحف ظريفه * من الفرش الفاخر * وأنواع الانسجة والحرائر * التى تدهش البصائر * وتذهل العقول والنواظر * فوجدته جالسا فى صدر المكان * وحوله جماعة من الاعيان * وقواد العساكر والفرسان * فتأملته

بالعيان * واذا به ذلك الانسان * الذى زارنى فى الدكان * وجرى لى معه ماجرى وكان * فتقدمت اليه * وقبلت الارض بين يديه فقال اعلم يافلان * انه قد بلغنى عنك الآن * من بعض الاعوان بانك تطعن فى حكمى * وتشكو من جورى وظلمى * وقلت عنى ماهو كذا وكذا * ونسبتنى الى التعدى والاذى * فاذكر لى الآن ما الذى رأيت منى من الظلم والعدوان * حتى تكلمت بذلك الكلام المستحق للعقاب والانتقام * فانقطع ظهرى * وحرت فى أمرى وأيقنت بالهلاك والدمار * ولم يسعنى الا الاعتذار * فوقعت على قدميه * وأخذت اثنى عليه * وقلت أيها المولى الهمام * ومن هو زينة الايام * وتاج الوزراء الفخام * انى أسألك برب الانام * الذى رفعك الى هذا المقام * وفضلك على جميع الخلق * بالحلم وكرم الخلق ان تعفو بحلمك عنى * وتصفح عما فرط منى * لان عدلك مشهور وفضلك غير منكور * فاللسان يقصر فى شرح ألطافك * والقلم يعجز عن ان يقوم بحق أوصافك * ولا أحد من الناس * من جميع الاجناس * الا و يشكر من حضرتك * و يثنى على دولتك * الا الدراويش الفقرا * الذين أخذت اخوتهم عسكرا * فانهم يستعظمون ذلك الامر * و يعدونه من باب الظلم والغدر * وليس هذا بدل على ظلمك * ولا على عدم انصافك وجور حكمك * لان هذا الترتيب والنظام * قد سنه قبلك ملوك الانام * وهو من اهم

الامور العظام * لقيام ناموس الرياسه * وضبط أمور السياسه لان الشوكة والصوله * وقيام قوة الدوله * تحتاج الى العساكر والاجناد * لحفظ راحة البلاد * وصيانة الاموال والعباد * وبدون ذلك * تختل قواعد الممالك * ويستطيل المملوك على المالك والقوى على الضعيف * والحقير على الشريف * فيكثر النزاع والجدال * ويعم الشر والوبال * وليس من يرد ولا يدفع * ولا من يحامى أو يمنع * واما بوجود الرجال والابطال * فيستقر الملك وتنتظم الاحوال * وتستقيم امور الناس * وتتشيد دعائم السلطنة على أقوى أساس * على ان الشعوب الافرنجيه * في الممالك الاجنبيه * تود الخدمة العسكريه * وتعدها من أكبر الشرف * وتفضلها على باقى المهن والحرف * وتدخل فيها بالطوع والاختيار * لا بطريق الكره والاجبار * أملا بالتقدم وبلوغ الارب * والحصول على الوظائف والرتب * بخلاف أهالى عربستان * لانهم لم يعتادوا عليها قبل الآن * فيرونها أمرا عظيم الشان * لداعى فرقة الاهل والخلان * وابتعادهم عن الديار والاوطان * فيتوهمون الفرح حزنا وغما * ويرون العدل جورا وظلما * وان الذى سمعته عنى * لم يكن عن قصد منى * وانما كان جل المقصود * تسلية ذلك الدرويش المعهود * وتعزيته عن حزنه الشديد * على فقد أخيه الوحيد * وهذا الذى تم وجرى * بتقدير

رب الورى * حتى أتشرف بمقابلة جنابك * والثم ساحة أعتابك
وقد تراميت الآن عليك * وشرحت قصتي بين يديك * لانك ولي
النعم * وفخر سادات الامم * وجميع الحكام عندك كالخدم * وليس
فوقك أحد * الا الواحد الصمد * فلازالت أيامك في عز وانشراح
وتوفيق ونجاح * ما أظلم الليل وأشرق الصباح * فتبسم ضاحكا من
هذا الخطاب * وقد أعجبه غاية الاعجاب * ثم طيب قلبي * وصفح عن
ذنبي * وأمرني بالجلوس فجلست * وآنسني بحديثه فاستأنست
وبعد هذا الحديث والكلام * أمر لي بالفي غرش على سبيل
الانعام * وقال قد أزعجناك الآن * فقم واذهب بامان * فدعوت له
بطول العمر * ودوام العز والنصر * وخرجت من عنده منشرح
الصدر * متعجبا من هذا الامر * ولم أر في حياتي احلم منه ولا ألطف
ولا اكرم خلقا ولا أظرف

في حسن معاملة ابراهيم باشا المرحوم والدي
كفاني الله شر عدوي وحاسدي

وكان ابراهيم باشا محبا لسيدي المرحوم الوالد * والاب العزيز
الماجد * وهو يعقوب أغا المشهور * صاحب الفضل والصيت
المشكور * الذي كان من أكابر زمانه واجود أهل عصره واوانه
وكان يزوره في أكثر الاحيان * ويعامله باللطف والاحسان *

ويخلع

ويخلع عليه الخلع الحسان * كما هو معلوم الخاص والعام * من أهل بيروت وبر الشام * وبهذه الوسيلة ارتفع أبى بفضله جاها وقدرا واكتسب بصفاء انظاره شرفا وفخرا * وكان مسموع الكلام مرفوع المقام * عند الولاة والحكام * مقصد الحل العاقد والمشاكل * وكهفا تلتجئ اليه الايتام والارامل * وكان من جملة مساعيه الخيريه * وافعاله الحميدة المرضيه * أنه أطلق عشرة انفار من أهل بيروت من الخدمة العسكريه * ممن كانوا فقراء الحال * واصحاب عيال * منهم أحمد مرزا البيروتى * وعبد الرحمن المغربل وأحمد العانوتى * وأحمد طقطق الدلال * وغيرهم من الرجال * وهذا حظ عظيم * والتفات جسيم * لم ينله غير والدى من مكارم جناب ابراهيم * وهذه المعاملة الجميله * هى التى حملتنى الى جمع مآثره الجليله * وتدوينها فى هذا الكتاب * ليبقى ذكرا لحضرته على مدى الاحقاب * فلو رآه وتأمل فيه * واطلع على ظواهره وخوافيه * وتلا العبارات المتعلقة بحروبه ومغازيه * لاغنانى وبلغنى المرام * ورفع رتبتى الى أعلى مقام * شعر

كتاب لوتلا ابراهيم يوما * صحائفه لبلغنى مرامى
وأغنانى على رغم الاعادى * ورقانى الى أعلى مقام

(الباب الثانى عشر)

فى تمرد دروز حوران * وانقيادهم الى الطاعة بعد العصيان

فلما استخلص ابراهيم باشا قطر الشام * وصفت له الليالي والايام كما تقدم الكلام * أرسل الاوامر والمناشير * الى الامير بشير يطلب منه ان يجمع من الدروز الفاومائتي نفر * ليدخلهم في سلك العسكر * فامتثل أمره و بادر بالعجل * واستدعى اليه اكابر دروز الجبل * واخبرهم بما كان * وعين على كل مقاطعة كمية من الشبان * وأمر ذوي المناصب * وأرباب الوظائف والمراتب ان لا يأخذوا من ليس له عوض * ولا من يكون به علة أو مرض وان ينتخبوهم من ابن خمس عشرة الى ابن خمس وعشرين سنه * وحدد لهم في ذلك مدة معينه * فلما شاع هذا الخبر * وعم ابين الدروز وانتشر * أثر ذلك في قلبهم أعظم أثر * فهاجت منهم الشبان * وأظهروا الخلاف والعصيان * فغضب الامير من اعمال الدروز * وقال لهم انكم تريدون ان تعصوا الحكومة وذلك لا يجوز * فيلزم ان تطيعوا الاوامر * والا دهمكم بالعساكر * ونهب أموالكم * وقتل أطفالكم * ثم جمع الى بيت الدين * جميع المطلوبين * وأرسلهم الى عكا بالقوة الجبريه * امتثالا للاوامر السنيه * وهناك ادخلوهم في سلك العسكريه * واتفق بعد ذلك بنحو عام * ان ابراهيم باشا كتب الى شريف باشا والى دمشق الشام * يأمره باخذ عسكر نظام * من دروز حوران *

ووادي التيم وأقليم البلان * فاجاب بالسمع والطاعه * وشرع فى
ذلك الامر من تلك الساعه * فلما بلغ الدروز هذا الخبر * زاد
عندهم القلق والضجر * فاظهروا له التمرد والعناد * وعدم
الطاعة والانقياد * فازداد شريف باشا عليهم حنقا وكدرا *
وأرسل لمحاربتهم عسكرا * فلم يظفر منهم بمراد * لانهم كانوا قد
اتحدوا مع عرب تلك البلاد * وانضاف اليهم جماعة من دروز لبنان
وسكان وادي التيم واقليم البلان * وغيرهم من أهل البغي والفساد
تحت راية الشيخ حسن جنبلاط والشيخ ناصر الدين العماد * حتى
صاروا فى عشرة آلاف مقاتل * بين فارس وراجل * فكانوا
يربطون مسالك الطرق * وينهبون القوافل بين بيروت ودمشق
ويقتلون من استفردوه من عسكر النظام * ولم ينظروا فى كل
ذلك لعواقب الايام * فلما رأى شريف باشا ما فعلوه * أرسل اليهم
عسكرا آخر فحاربوه وهزموه * وكانت دروز وادى التيم وأقليم
البلان * يمدونهم بالرجال والفرسان * ولما بلغ ابراهيم باشا هذا
الخبر * استولى عليه الغيظ والكدر * وكتب الى أبيه بمصر
يعلمه بهذا الامر * ويلتمس منه ارسال عسكر من الارناؤط
بالعجل * لان عسكر النظام يتعسر عليه الحرب فى الجبل * فجهز
له أربعة آلاف مقاتل * تحت لواء مصطفى باشا كامل * وكان بطلا
هماما * وشجاعا مقداما * فوصل فى أقرب زمان * الى عربستان

وحارب الدروز فى الوعره * سنة ألف ومائتين واحدى وخمسين من الهجره * وجرت بينه و بينهم عدة وقائع منكره * فى تلك الاماكن الوعره * وكانت دروز البلاد * ومن اشترك معهم فى هذا الفساد * تنجدهم أولا سرا * ثم علنا وجهرا * تحت راية شبل العريان * وكان من فحول الفرسان * موصوفا بالشجاعة وقوة الجنان * فغضب ابراهيم باشا بهذا السبب * وكتب الى الامير بشير من حلب * يذكر له ذلك الخلل * الواقع من دروز الجبل * و يأمره أن يبادر فى الحال * بارسال حفيده الامير مجيد قاسم فى جماعة من الابطال * الى وادى التيم وأقليم البلان * لارهاب دروز لبنان * لئلا ينجدوا دروز حوران * وان يرسل حفيده الامير محمود خليل الى حاصبيا على الاثر * فى الف وخمسمائة نفر * ليقيم فى دار سرايا الاحكام * مع عسكر النظام * فاجاب وامتثل وارسلهما على عجل * ولما بلغ الامير مجيد اقليم البلان * أطلق الغارة على العصاة المجتمعين فى ذلك المكان * فهزمهم على اعقابهم واستولى على اسلابهم * بعد ما قتل منهم مائة وخمسين رجلا * وملأ قلوب من بقى خوفا ووجلا * وأما الامير محمود * فنزل فى دار السرايا بمن معه من الجنود * وفى اثناء ذلك قدم ابراهيم باشا الى حاصبيا للانتقام من الدروز * وكان وصوله اليها فى اليوم الخامس من شهر تموز وكان قد بلغ الدروز فى بعض الايام * انه قادمة ذخائر الى عسكر

النظام

النظام * من مدينة دمشق الشام * فطمع الشيخ حسن جنبلاط
بها * وأرسل خمسمائة نفر لاخذها وسلبها * فالتقوا بها في بعض
الطريق * وكانت عدة صناديق * من البارود والدقيق * فلما
أبصروها * انقضوا عليها واستخلصوها * واتفق في ذلك الوقت
قدوم مصطفى باشا من الوعرة بالعساكر * فالتقاهم في الطريق
واستخلص منهم المؤن والذخائر * فلما بلغ الشيخين هذا الخبر *
بادر الشيخ حسن على الاثر * وقصد ذلك المكان بسبعمائة نفر *
وتبعه الشيخ ناصر الدين * بستمائة وخمسين * ولما أشرفوا على
المكان المعهود * أطلقوا على مصطفى باشا نيران البارود وعلا
ضجيجهم كأصوات الرعود * فاستقبلتهم الارناوط بقلوب كالجبال
واشتبك بينهم القتال * وأخذت نيران الحرب في الاشتعال * حتى
تزلزلت من ضجيجهم أرض وادي التيم * وكان الرصاص يتناثر كالبرد
ودخان البارود غطى الآفاق كالغيم * واستمر القتال بين الفريقين
نحوا من ساعتين * وكان ابراهيم باشا يومئذ في حاصبيا بالقرب من
ذلك المكان * فلما بلغه الخبر نهض مسرعا بار بعمائة مقاتل من
الفرسان * ولما وصل الى ساحة المعمعه * ورأى تلك الاحزاب
المجتمعه * أطلق عليهم النار الدائمه * وأمر العساكر أن تبادرهم
بالمهاجمه * فاطبقوا عليهم من كل جانب * وحملوا عليهم
كالسلاهب * وضيقوا بهم المسالك والمذاهب * وأخذوا يذبحونهم

كالغنم * و يقطعونهم تقطيع لحم على وضم * فقتلوا منهم ستمائة وعشرين * وكان من جملة المقتولين * الشيخ ناصر الدين * ولم ينج من اصحابه سوى خمسين * وأما الشيخ حسن جنبلاط * ومن بقى معه من مشايخ الارهاط * فلما أيقنوا بالعطب * وعلموا ان لانجاة لهم الا بالهرب * ولوا بكل خفة وسرعه * وقصدوا قرية شمعه * فدهمهم ابراهيم باشا فى ثانى الايام * بجموع الارناؤط وعسكر النظام * فانقلبوا على أعقابهم يطلبون الفرار * وقتل منهم جملة انفار * وفر شبل العريان * بمائة فارس الى حوران * ودخل المصريون الى القرية فنهبوها * وقتلوا من وجدوا بها من العصاة وأحرقوها * ولم يبق من أهلها الا من كان طفلا * أو نائحة تصرخ صراخ الثكلى * ثم أحرقوا بعدها أكثر القرى * وتركوها عبرة لمن يرى * فندمت الدروز على ذلك الرأى الوخيم * ولم يعد يمكنها الا الانقياد والتسليم * والامتثال لاوامر ابراهيم * ولما يئس شبل العريان من بلوغ الوطر * ورأى نفسه عرضة للخطر * ندم على سوء عمله * وأيقن بحلول أجله * فحضر فى جماعة من الابطال * الى ابراهيم باشا صاحب السعادة والاقبال * فاعتذر اليه * ووقع على قدميه * ملتمسا منه الرضى * والعفو عما مضى * فتعطف عليه براحمه * وصفح عن جرائمه * وغمره فى بحر كرمه * ونظمه فى سلك خدمه * وجعله قائدا على ألف فارس من الهوارا * فاكتسب

فخرا واعتبارا * وتحسنت أحواله بهذه الخدمه * وصار له بين الناس منزلة وحرمه

(الباب الثالث عشر)

حرب نزب

وفي سنة ١٢٥٥ هجريه* الموافقة سنة ١٨٣٩ مسيحيه* صدرت الاوامر السلطانيه* الى حافظ باشا ان يجهز في الحال* و يسير بالرجال والابطال* لاستخلاص بلاد سوريه* من يد الدولة المصريه* فامتثل الامر المطاع * وسار على قدم الاسراع* في سبعين ألف مقاتل* بين فارس وراجل* قاصدا عربستان* من غير تأخير ولا توان* ولما بلغ ابراهيم باشا البطل المغوار* والاسد الكرار* قدوم هذا العسكر الجرار * استعد لحربه وقتاله وزحف باربعين ألفا من رجاله وابطاله * لملاقاته واستقباله* وما زال سائرا بهذا الموكب* حتى انتهى الى نزب *وهو سهل فسيح الرحاب * بين براجيك وعين تاب* وكان وصوله الى ذلك المكان يوم الخميس الواقع في الرابع والعشرين من حزيران * فنزل على شاطئ نهر هنالك *بقرب معسكر الاتراك *ولما ضربت الخيام واستقر به المقام* اصدر الاوامر * الى قواد العساكر *بان يكونوا عند الصباح *مستعدين للحرب والكفاح *ثم استدعى

برجل كان يركن اليه * و يعتمد فى كشف الدسائس عليه * يقال
له سليمان * وكان قوى الجنان * فصيح اللسان * ناجحا فى قضاء
الحاجات * عارفا باكثر اللغات * لا يبالى بالاهوال والمشقات
يذهل الالباب * بعذوبة الخطاب * و يسبق الطير * بسرعة السير
فأمره ان يتأهب و يسير * و يتجسس أحوال تلك الجماهير * و يميز
قوادهم وعساكرهم * و ينظر بعين فراسته امورهم واوامرهم
و يأتيه بحقيقة الخبر * قبل طلوع السحر * فاجاب وامتثل
وسار على عجل * قاصدا تلك العساكر * كانه الطير الطائر * حتى
وصل الى مضاربهم * واختلط فى مواكبهم * ثم قصد الصيوان
الكبير * الذى برسم الوزير * و بعد أن اختبر الاحوال * ووقف
على حقيقة الحال * رجع على الاثر * وأخبره بما شاهد ونظر * من
احوال القوم وحركاتهم * وكثرة ذخائرهم ومهماتهم * وماهم عليه
من الاستعداد * والتأهب للحرب والطراد * ثم قال له فى آخر
الكلام * اعلم ايها البطل الهمام * انى رأيت حافظ باشا فى
الصيوان * وهو جالس على الديوان * كانه ملك أو سلطان * ومن
حوله القواد والاعيان * وفى يده اليمين * بأسورة من الياسمين
عليها طقم من الكهرباء الفاخر * مرصعا بنفيس الجواهر
و بينما أنا أراقب أحوالهم * واسمع خطابهم ومقالهم * اذ
أحضرت الخدام * مائدة الطعام * فكانت عدة أنواع فاخره

واجناس متكاثره * أكثرها من لحوم الدجاج والضان *
والحلويات المختلفة الالوان * ولما فرغوا من الاكل والشرب
أخذوا يتفاوضون فى أمر الحرب * وقد عوّلوا عند الصباح * على
القتال والكفاح * وهم يؤملون بالنصر والنجاح * فلما انتهى من
شرحه وخطابه * تبسم ابراهيم باشا ضاحكا من وصفه واطنابه
وكان عنده جماعة من أكابر قوّاده واصحابه * قد اجتمعوا للمشورة
والكلام * والمذاكرة فى أمر الحرب والصدام * فقال لقد صدقت
فيما وصفت ونطقت * ولا تكلمت وأخبرت * الا بما سمعت ونظرت
وعاينت وأبصرت * ولكننى أسألك يا سليمان * بحضور هؤلاء
الاعيان * أما وجدت بينهم وزيرا * أو قائدا كبيرا * يفترش الارض
سريرا * وينام تحت ظل الشمس والقمر * ويتوسد رأسه على
حجر * ولا يبالى بالمشقة والخطر * ولا بانواع الطعام المفتخر * ان
غاب أو حضر * فقال وحق الاله الواحد * انى ما وجدت ولا واحد
وماهم الا كالعرائس * يتقلبون فى صدور المجالس * فى أفخر الحلل
والملابس * وعلى صدورهم النياشين المرصعه * وبين أيديهم
الاطعمة المتنوعه * وهم جالسون فى الخيم * ومن حولهم الحواشى
والخدم * فلما سمع كلامه * زاد ضحكه وابتسامه * وقال له اذا
كانوا على ما تقول * فسوف نبلغ منهم المأمول * ونفرقهم عند طلوع
النهار * بين الروابى والقفار * بعون الواحد القهار * قلت وما

كان قصده بذلك السؤال * ان يقف على حقيقة الاحوال * لانه
كان عارفا بحالهم * عالما بصفاتهم وخصالهم * وما هم عليه من
الدلال * ورفاهة الحال * ولكن كان جل قصده ومراده * ان
يشجع قلوب جنده وقواده * على الحرب والقتال * والثبات فى
ميدان النزال * ولم تكن تلك الاوصاف البديعه * والمناقب
السامية الرفيعه * من علو الهمم * ومكارم الشيم * والجود
والكرم * الا فيه دون باقى الامم * لانه كان من عجائب الزمان
وافراد العصر والاوان * ذو سعد واقبال * وهيبة وكمال * عديم
المثال * بين الرجال * خبير بأمور الدهر * كثيرا الجلد والصبر
لا يمل ولا يضجر * ولا يهاب الموت الاحمر * وكان مع هذا البطش
والاقدام * وعلو الجاه ورفعة المقام * لا يكترث بالطنطنة والعظمه
ولا يبالى بانواع الاطعمه * بل كان يقنع بما تيسر * من طعام
العسكر * بدون أدنى التفات * الى معاطاة المشروبات * ويواظب
فى أكثر الاحيان * مع الابطال والفرسان * على الحراسة والسهر
الى وقت السحر * فكانت تميل اليه النفوس والقلوب * و ينتصر
فى الوقائع والحروب * و يفوز بالمقصود والمرغوب * وكان عند
فراغه من هذا الخطاب * الذى يهيج الشيوخ والشباب * ويشجع
الذليل الجبان * على الحرب والطعان * وملاقاة الشجعان
استحسنه القواد والاعيان * ومن حضر فى ذلك المكان * غاية

الاستحسان

الاستحسان *لان كلامه عنهم لم يكن هزؤا واحتقارا *ولا وصفه لنفسه مباهاة وافتخارا * كما جرت عادة الجبابره * او بعض الملوك الظافره * فى التهديد *والوعد والوعيد *ولم يتكلم الا بالواقع حيث حاربهم فى جملة مواضع * وهزمهم فى عدة مواقع * وكانوا أضعافا فى العدد * وأكثر فى الذخائر والعدد ثم تفرقت الناس الى الخيام *بعد هذا الحديث والكلام *وبقى هو مع نفر واحد اسمه محمد بن راشد *كان فى خيمته *مختصا بخدمته * حدثنى محمد المذكور *قال لما انصرف الجمهور *بقى ابراهيم باشا وحده ولم يكن أحد غيرى عنده *فاخذ يمشى فى الصيوان *نحو ساعة من الزمان *ثم جلس على الطراحه *ليأخذ لنفسه راحه *فبينما هو جالس * كانه الليث العابس *واذا بار بعة مدافع *أطلقها العدو من عدة مواضع *فوثب قائما على قدميه *ونادانى فمثلت بين يديه *فقال لى يا محمد *ما هذا الذى تجدد *فقلت حفظك الله وأبقاك * وادام عزك وعلاك * ونصرك على حسادك واعداك أنت سألتنى هذا السؤال * وأنت أعلم بواقعة الحال *فتبسم ضاحكا وقال * انى لا اسمع الاصوات حتى تذريه الرياح *أو حفيف شجر لعبت به نسيم الصباح * ولما طلع النهار *وشعشعت الشمس بالانوار *قرعت طبول الحرب *وتأهب العسكر للطعن والضرب وفى الحال انتشرت البيارق * وخفقت الرايات والصناجق *

واصطفت المواكب والفرق * ولمع السلاح وبرق * وانقسمت * الجنود الى اقسام * وتقدمت الى أمام * واندفعت بسرعة واهتمام * كانها الليوث الآجام * أو صواعق الغمام * وكانت العساكر العثمانيه * قد أقبلت بقلوب قويه * وهمم عليه * وهي تموج في تلك البطاح * كما يموج البحر اذا لعبت به عواصف الرياح * ولما تدانى العسكران * واقترب الجيشان * أمر ابراهيم باشا ليث المعامع * باطلاق البوارود والمدافع * فأطلقت في الحال * وانتشب بين الفريقين القتال * وتزلزلت الارض بالزلزال * ثم هجمت الجنود المصريه * على الجيوش السلطانيه * وانقضت عليها ككواسر العقبان * أو أسود خفان * فالتقتها عساكر السلطان * بقلوب أقوى من الصوان * وأخذت معها في الضراب والطعان * وحينئذ اختلطت الصفوف بالصفوف * وتمكنت في الاجسام الحراب والسيوف * والتقت الميئات بالميئات * والالوف بالالوف * ودارت على القوم كؤوس الحتوف * وكان يوما شديد الاهوال * تشيب من هوله الاطفال * فيه كثر القتل والجراح * وطارت الجماجم عن هيا كل الاشباح * باسنة الحراب وشفار الصفاح * وغلب الفساد على الصلاح * وحجب القتام نور الصباح * وحامت ملائكة الموت على الارواح ونعق فوقهم غراب البين وناح * وارتجت الارض من الضجيج

والصياح

والصياح * وأصوات النار ودوقعقعة السلاح * فلله در ابراهيم باشا ليث البطاح * وفارس ميدان الكفاح * فانه خاض معركة القتال * بقلب أقوى من الجبال * وحكم سيفه في صدور الابطال وأظهر بشجاعته العجائب والاهوال * وفعل في ذلك اليوم المنكر فعالا يعجز عنها أبو الفوارس عنتر * فتقوت بحملاته قلوب العسكر وانصبوا على أعدائهم كعارض المطر * وعرضوا نفوسهم للخطر في سبيل نيل الوطر * واستمر القتال على هذا الشرح والوصف نحو ثمان ساعات ونصف * وكانت قد كانت عساكر الاتراك * ووقعت في سوء الارتباك * وأيقنت بالدمار والهلاك * من تواتر الحملات * وضرب السيوف * وطعن السنكات * فتأخرت الى الوراء * وتقهقرت في تلك الصحراء * طالبة مرعش وتلك الاطراف بعد ان قتل منها نحو ستة آلاف * وأسر حافظ باشا وزيرها * ومدبر أمورها ومشيرها * واستحوذ المصريون على مهماتها وأثقالها * واستولوا على ذخائرها واموالها * ورجع ابراهيم باشا ظافرا منصورا * وعدوه مدبرا مقهورا * وانتهى الى الاستانة خبر هذا النصر السعيد * بعد ثمانية أيام من وفاة السلطان محمود وجلوس ولده السلطان عبد المجيد

(الباب الرابع عشر)

في خروج الحكومة المصريه * من أقطار سوريه * بعد حروب هائلة قويه * وانتقال محمد باشا وابراهيم باشا الى رحمة رب البريه

وكان بعد أن ثار ابراهيم باشا وانتصر * في حرب نزيب كما تقدم الخبر ورفعت جيوشه رايات النصر والاستظهار * وحل ما حل باعدائه من السقوط والانكسار * حذرت الدول الافرنجيه * ان يفتح القسطنطينيه * ويجلس على تخت السلطنة العثمانيه * ولذلك اتحدت الدولة الانكليزيه * مع الدولة الروسية * والنمساويه والبروسيانيه * على ترجيعه من تلك الديار * امابالطوع والاختيار أو بطريق الاكراه والاجبار * فعقدوا في مدينة لندن جمعيه في اليوم الخامس عشر من تموز سنة ١٨٤٠ مسيحيه * للبحث والمفاوضة بهذه القضيه * وبعد عقد جلسات متعدده * فرضوا عليه شروطا واحكاما مقيده * وامضى بالمصادقة عليها * كل من تلك الدول المشار اليها * فكان جل ما سطروه * وفحوى ما استحسنوه وحرروه * هو تقرير يد الهمام الاعظم * والخديو الاكرم الافخم * محمد على باشا ذي الاخلاق الرضيه * على ولاية الاقطار المصريه * مع قسم صغير من الديار الشاميه * ويكون ذلك من بعده * لذريته وأولياء عهده * وشددوا عليه في الكلام * انه من بعد وقوفه عليها بعشرة أيام * يسحب عسكره من اطراف بر الشام

* بلانزاع ولاخصام * فعند وقوف حضرة الخديو على هذا الطلب الذى يستحق العجب * عظم الامر لديه * ولم يصادق عليه * فما كان من الملوك المتحده * والدول المحتشده * الا انها اتفقت مع الدولة العليه * باشهار الحرب على الحكومة المصريه * وأرسلت الدولة الانكليزيه سنة ١٨٤٠ مسيحيه * عمارة بحريه * مشحونة بالعساكر والمهمات الحربيه * الى أساكل سوريه تحت قيادة اللورد * روبرت ستابفورد * فضرب بيروت الضرب المهول * فسلمت فى الحادى عشر من شهر أيلول * وأما باقى الثغور كطرابلس وصيدا وصور * فحيث لم يكن فيها من القلاع * ما يقوم بحق الدفاع * اضطرت أيضا الى التسليم * بعد جهاد عظيم * ولما استولوا على هذه الاساكل * شحنوها بالعساكر والجحافل * وقصدوا قلعة عكا الشهيره * بتلك المراكب والقوات الكثيره * وأطلقوا عليها مدافعهم وقنابلهم * وكانت المدينة تحاربهم وتناضلهم * وجنودها تجد فى نيل مراكز المجد والظفر * غير مبالية بالاهوال والخطر * واستمر القتال * على هذا المنوال * ثلاث ساعات بلا انقطاع ولا انفصال * فاتفق بأمر الواحد الاحد والفرد الصمد * وقوع كلة على جبخانة البلد * فاحترقت فى الحال وقتلت عددا كثيرا من الرجال * وبهذه الوسيلة ضعفت قواها وسلمت الى اعداها * وكان حدوث هذا الامر الربانى * فى اليوم

الثالث من شهر تشرين الثاني * وحينئذ استولت عليها العساكر الاجنبيه * ولما رأت الحضرة الخديويه * انها أمست تحارب أقوى الدول الاوربا ويه * سحبت عساكرها من الديار الشاميه * بعد حروب عديده * ووقائع هائلة شديده * ومازال محمد علي باشا في عزه وفخره * ونهيه وأمره * الى ان بلغ الثمانين من عمره * فاعتراه مرض سوداوي أحدث خللا في فكره * الذي كانت تضرب بفطنته الامثال * وتستمد به فحول الرجال * و بعد ذلك بسنة انتقل الى جوار الملك العلام * وكانت مدة حكمه خمسا وأربعين سنة وعشرة أيام * وكانت وفاته في اليوم الثامن من شهر آب سنة الف وثمانمائة وتسع وأربعين مسيحيه * الموافقة لسنة الف ومائتين وخمس وستين هجريه * فتقطعت عليه القلوب حسرات * وانسكبت لفقده العبرات * وعظم ذلك على جميع أهل مصر * وناحوا عليه نواح الخنساء على صخر * فسبحان الحي الدائم * صاحب الملك والجبروت * والصمد الذي لا يتغير ولا يموت * وكان يلقب بالخديو وجرى هذا اللقب من بعده * على خلفائه وأولياء عهده * وكان ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر * قد استولى بعد تنازل أبيه على أحكام بر مصر * وقد ذكرنا فيما تقدم * مناقب هذا الاسد الغشمشم * والخديو الاعظم * وما أجرى الله على يده من الفتوحات السعيده * والانتصارات العديده * فلما استبد بزمام الاحكام *

قام بتدبيرها أتم قيام * فعامل الناس بالمعروف والكرم * واصلح
بين الذئب والغنم * واقتفى أثر والده في العدل وعلو الهمم *
ومكارم الاخلاق وحسن الشيم * ومن يشابه أبه فما ظلم * وكان
حضرة مولانا السلطان عبد المجيد خان * استدعاه الى سدته
المنيفه * وزيارة حضرته الشريفه * فدخل القسطنطينية * عام
اربع وستين ومائتين والف هجريه * فقابله بالتبجيل والاكرام *
واحترمه غاية الاحترام * وفوض اليه أحكام الديار المصريه *
وخلع عليه الخلع السنيه * ورجع بالعز والاقبال * على أحسن
حال وأنعم بال * واستقر في ولايته الزاهره * ولوائح السعود في
غرة جبينه ظاهره * ومازال السعد خادمه * والعز مصاحبه
وملازمه * الى ان أدركه الاجل المحتوم * واستوفى عمره المعلوم *
وكانت وفاته في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة الف
ومائتين وأربع وستين هجريه * ودفن باحتفال عظيم
بمصر المحميه * وهو ابن اثنتين وستين سنه * رضي الله عن مساعيه
الحسنه * وكانت مدة ولايته احد عشر شهرا * ورثاه شعراء
العصر بكل قصيدة غرا * فمن ذلك قول الفاضل الاديب * والشاعر
اللبيب * فخر الادباء البارعين * السيد محمد شهاب الدين

صبرا على ما قد مضى * اذ لا مخلص من قضا
كيف التصبر والمنا * ياذات عضب منتضى

أودت بابراهيم مذ * بلغ المقام المرتضى
واليه آل الامر في * حكم الايالة وانقضى
لقضى وقلت مؤرخا * الله يرحم من مضى

فبكت عليه الناس * من جميع الاجناس * ونصبت له الحكومة في القاهرة تمثالا من النحاس * وأقامت أيضا الحضرة الخديويه تمثالا في الاسكندريه * رحمهما الاله الرحمن * وجعل ذكرهما مخلدا على طول الزمان

(الباب الخامس عشر)

في مآثر حضرة الاميرة الكريمه * والدرة اليتيمه * ذات الفضائل العميمه * والآراء الصائبة المستقيمه * قرينة ابراهيم باشا الفخيمه * وجدة جناب ولي النعم * مولانا توفيق باشا الخديو المعظم * أبد الله مجدها وتوفيقها * وجعل السعد خادمها ورفيقها

انه اذ كنا قد استوفينا الآن * مناقب حضرة ساكن الجنان * ابراهيم باشا العظيم الشان * فيليق بنا قبل ان نمتد بالكلام * في تراجم حضرات أولياء الامور العظام * ان نذكر في هذا المقام * حضرة قرينته الرفيعة المقام * الممدوحة من الخاص والعام * وما قد خصها الله به من الكمال * ومحاسن الخصال * دون باقي

النساء والرجال * حتى يكون هذا التأليف * من ينابذ كراسيها الشريف * اذ انها قرينة ذلك الاسد * وهى أحق بالثناء والمدح من كل أحد * لانى من جملة من غمرهم نداها * وعمهم احسانها ونعماها * فاقول هى تاج المخدرات * وزينة النساء الموقرات * ولية النعم * وسحابة الجود والكرم * المجملة بحلل الكمال والوقار * المتصلة بها سلسلة الشرف والفخار * صاحبة الجاه والاعتبار * الاميرة الجليلة خوشكار * من باهت نساء الارض شرفا ونسبا * وفاقت عليهن جودا وحلما وأدبا * كيف لا وهى زينة هذا العصر * والجوهرة الثمينة فى برمصر * التى تعطرت بحسن شمائلها الاكوان * وأقر بفضل دولتها كل انسان * وشاعت مكارمها فى أقاصى المدن والبلدان * حوت اللطائف والظرائف * وأجازت أهل الفضل والمعارف * ووافتها المدائح والاشعار * من جميع الاقطار * ومما قلته فيها * أدام الله سموها ومعاليها * وجعلها سيفا مسلولا على رقاب حسادها وأعاديها

باهت مآثرها الكرام * وتفردت بين الانام
وسمت على أقرانها * بالجد فى أعلى مقام
هى زينة العصر التى * فى مصر مصباح الظلام
من يلتجى بجنابها * يحظى على نيل المرام
هذى ولية أمرنا * وقرينة المولى الهمام

الشهم ابراهيم من * خضعت له أسد الآجام
الاوحد الفرد الذى * قد كان للدنيا امام
قد كان أفضل سيد * وأبر من صلى وصام
ملك مهيب قادر * بطل عنيد لا يرام
فتح المدائن عنوة * بالحرب فى حد الحسام
وأذل فرسان المعا * مع فى ميادين الصدام
ولقد أقر بفضله * وببطشه الدول العظام
يفنى الزمان وذكره * يبقى على طول الدوام
ان كان عنا قد نأى * ومضى الى دار السلام
فاليوم أنت مكانه * فى مصر يا بنت الكرام
حزت المعارف والندى * والفضل من قبل الفطام
ماقام مثلك فى الورى * بين النسا من ألف عام
فى الحلم والكرم الذى * يزرى بامطار الغمام
واللطف والحسن الذى * يزهو على البدر التمام
لازلت فى عز وفى * جاه رفيع واحترام
مالاح فى أوج العلى * نجم وماناح الحمام

وقلت أيضا مادحا اياها بهذه القصيدة * ومعرضا بذكر أوصاف بعلها الجليلة الحميدة

تسامى فخرها بنت الكرام * فحازت بالملا أعلى مقام

كريمة معشر من خير قوم * لهم شرف وعز فى الانام
وقد فاقت نساء الارض طرا * بحسن الخلق والرأى التمام
فلا عجب اذا افتخرت وباهت * جميع الناس من خاص وعام
أليس لبعلها خضعت وذلت * أسود الحرب فى يوم الصدام
هو ابراهيم من حاز المعالى * ونال المجد فى حد الحسام
همام كان فى الدنيا فريدا * وركنا فى المهمات العظام
ولازالت وقائعه المواضى * مخلدة على طول الدوام
وقائع لو رآها الطفل يوما * لشاب لهولها قبل الفطام
لئن يك غاب ذاك البدر عنا * فأنت اليوم مصباح الظلام
وأنت اليوم يا خشكار كهف * وملجأ للضعيف المستضام
فلا زالت سعودك فى ازدياد * وقدرك بين أهل المجد سام

ومهما مدحت وأثنيت عليها * فهو قليل بالنسبة اليها * لان فضلها قد شاع وظهر * وامتد وانتشر * بين البشر * كظهور القمر الذى لا ينكره الا فاقد البصر * وهى مع علو شانها * ورفعة قدرها ومكانها * متصفة باللطف والانس * ومكارم الاخلاق ووداعة النفس * محبوبة من جميع الرعيه * مطبوعة على الخير وحسن الطويه * فمن مشروعاتها الخيريه * التى شيدتها فى الديار المصريه عدة أماكن لاجل الاحسان * وجامع كبير فى غاية الحسن والاتقان

وغير ذلك من المشروعات الحسان * غيرة منها لاعانة المحتاجين * وشفقة لاغاثة الفقراء والمساكين * وجميعها تحت ادارة . وكيل دولتها ورئيس سراية حضرتها * سعادة الهمام الاكرم * والليث الغشمشم * مصدر الحكم * وبحر الكرم * ابراهيم بك أدهم * الذى استولى هذا المقام * بعد انتقال خليل اغا الى رحمة رب الانام * ولا يخفى ان سعادة البك المشار اليه * خلد الله سوابغ النعم عليه * من أعيان أهل الأدب * متفرد فى المعارف ولغة العرب * فصيح اللسان * قوى الجنان * محمود السيره * صافى السريره * وكنت قد تشرفت بمقابلة جنابه * وشنفت مسامعى بلآلئ درر خطابه * برفقة جناب الصديق الصادق * والبدر المنير الشارق * أعنى به الشاب الظريف * والاديب النجيب اللطيف * صاحب الرسائل والتصانيف * الذى اعتنى بشكل وطبع البخارى الشريف * وأعاننى على وضع هذا التأليف * سنى الهمم * حميد المآثر والشيم * عزتلو محمد أفندى مكاوى المحترم * فانه من أعز أصحابه * وأجل خلانه وأحبابه * فوجدته أنيسا أديبا * فصيحا لبيبا * وفى العلوم بحرا عذيبا * تروق بطلعته الابصار والنواظر * وتنتعش بعذوبة ألفاظه النفوس والخواطر * ومن أعجب العجب * انه لا يصد أحدا عن طلب لا سيما من كان من أهل الادب * فانه يبذل غاية جهده واستطاعته *

فى قضاء حاجته * فرجعت شاكرا من الطافه وافضاله * متعجبا من كثرة أدبه وفصاحة مقاله * فسبحان من أوجده مفردا بين أقرانه وأمثاله

شعر

ومن يك مثل ابراهيم شهما * تليق له المدائح والتهانى
همام قد تفرد فى البرايا * بالطاف تفوق عن البيان
جميل الخلق ذو فكر مصيب * بكشف الغامضات من المعانى
وقد جالسته فوجدت فيه * ماثر ليس يحصرها اللسانى

وقلت أمدحه واهنئه بعيد الفطر * حفظه الله بالعز والفخر على مدى الدهر

بمدح جناب ابراهيم أدهم * زها شعرى وقدرى قد تعظم
هو البدر المنير بارض مصر * وقهار العدى الليث الغشمشم
اذا افتخرت كرام الخلق يوما * فكان عليهم الرأس المقدم
فلم نترك لمعن اليوم ذكرا * ولا لربيعة ابن المكدم
اذا صدمت عزيمته ثبيرا * لمال وان اتى جيشا فيهزم
فسل عنه العلوم وكل حبر * غدا فى علمه البحر العرمرم
وسل عنه الفوارس كيف ذلت * لديه وسل أعاديه فتعلم
اذا طفت البلاد فلا تلاقى * بالطف منه انسانا وأكرم
تباهت مصر فيه واستنارت * معالمها وفيها الانس خيم
ألا يا من غدا للناس ذخرا * ومصباحا اذا ما الليل أظلم

اليك قصيدة غراء وافت * تهنى جنابك العالى المعظم
بعيد الفطر يابدر المعالى * تهنى فيه بالافراح واسلم

ومما قلته فى جناب محمد افندى المذكور * أدامه الله بالعز والسرور على مدى الاعصار والدهور *

لله مكة زينة البلدان * حرم الامان وكعبة الرحمن
بلد زهت فى حسنها وجمالها * وبها كرام الناس من عدنان
أهل المفاخر والفضائل والتقى * واللطف والمعروف والاحسان
تاهيك منها محمد العلم الذى * شاعت محامده بكل مكان
الاوحد الفرد الذى باهى الورى * بفعاله وسما على الاقران
هذا الذى خضعت له أسد الشرى * وفوارس الهيجاء فى الميدان
قمر بافق المجد يسطع نوره * فى قطر مصر وسائر الاكوان
بحر العلوم وصاحب الحكم التى * لم تروها الحكماء عن لقمان
ألفاظه تسبى العقول ولطفه * يشفى العليل وكربة اللهفان
نسخت فصاحته فصاحة من مضى * فى الناس من قس ومن سحبان
يكفيه تصحيح البخارى مفخرا * مع شكله بالضبط والاتقان
لو رمت أستوفى مديح جنابه * بتمامه لصرفت فيه زمانى
لازال فى جاه وعز باذخ * طول الدوام على مدى الازمان

وقلت أيضا أهنيه بعيد النحر * وقاه الله نوائب الدهر

نلت المحامد يامحمد والثنا * و بلغت من دنياك غايات المنى

والعيد زارك بالمسرة والهنا * فتهن وافخر كل أولاد الزنا

(الباب السادس عشر)

فى ولاية حضرة عباس باشاوه والخديو الثالث * وذكر ماجرى فى أيامه من الوقائع والحوادث

هو ابن طوسون باشا بن محمد على * صاحب البطش الشديد والقدر العلى * الذى حسنت مساعيه * وأشرقت شموس معاليه * وطابت أيامه ولياليه * فكان كما قيل فيه

راق الزمان وأسفرت أوقاته * عن طيب أيام وصفو ليال
والدهر وافى بالمسرة والهنا * وغدا يبشرنا بأحسن حال
والكون قد سطعت أشعة نوره * مذلاح هذا الكوكب المتلالى
سعدت به الدنيا وقالت ابشروا * بالفيض من احسانه المتوالى
أكرم به من دولة عباسها * قد جاءنا بالفضل والافضال

تولى أحكام الديار المصريه * بعد انتقال حضرة ابراهيم باشا الى رحمة رب البريه * سنة ١٢٦٥ هجريه * الموافقة سنة ١٨٤٨ مسيحيه * وكان قوى الجنان * فصيح اللسان * موصوفا بالعدل والاحسان * عظيم المهابه * وافر العقل والاصابه عدل فى الرعيه وسلك الطريق المرضيه * وكان يحب الابطال * وصناديد الرجال مغرما بالخيل الاصائل * والافراس الكحائل * وكان قد حضر

أكثر الوقائع في بر الشام * مع جناب عمه ابراهيم باشا فارس الصدام
وقاتل فيها بهمة وعزيمه واكتسب شهرة عظيمه وفي أيامه
جعل جميع العساكر بالمساواه * بدون أدنى محاباة بين رعاياه * كل
فتى بمنا يوافق سنه وعمره * حسب وقوع القرعة بأمره * ساوى في
ذلك بين المملوك والمالك * وقطع دابر المفسدين وقطاع الطرقات *
الذين كانوا يعرفون في نواحي الشرقية وتلك الجهات * وأصبح
الناس في أمان * في تلك المكان * من شر أهل البغي والعدوان *
وكان الله سبحانه وتعالى * قد رزقه ولدا كالبدر حسنا وجمالا * عالي
الهمه * كثير الحكمه * قد تفرد بفنون الادب * وشاع فضله في
العجم والعرب * وهو جناب الامير ابراهيم الهامي * صاحب
الخلق الجميل والمقام السامي * الذي فاق على أقرانه * بمعارفه
وفصاحة لسانه * وفيه يقول بعض شعراء زمانه

عام أتى بمسرات وانعام * مبشرا بضياء الملك الهامي
مبشرا لوزير ضاء كوكبه * بطالع السعد زهو نجمه السامي
خلاصة المجد روح الملك رونقه * شمس المعارف أفق السودد النامي
له الهناء بعام كله فرح * ذي مبسم بوجوه الانس بسام

وكان قد زار الاستانة العليه * سنة ١٢٧٠ هجريه
واجتمع بالحضرة الشاهانيه * فانشرح منه السلطان عبد المجيد
خان * فزوجه بابنته * وغمره بجزيل نعمته * ومن ذلك قول

بعضهم فى حضرته

الهمام باشا أدام الله دولته * فريد عصر رفيع القدر والشان
كم حل كل غامض عن عاذل فطن * أبداه الهمام الهامى باعلان
بشراه نجل العزيز الصدر أرخه * بالسيف ملكا مشيرا صهر سلطان

ثم رجع الى مصر * بالعز والجاه والفخر * وهو والدفتر ننسة حضرة ولى النعم * مولانا توفيق باشا الخديو المعظم * أدام الله لهما مزيد العز والنعم * وقبل الفراغ من هذه الترجمة * يجب علينا ان نذكر حضرة السيدة الموقرة المعظمه * وهى الاميرة الشهيره * ذات المكارم والمواهب الكثيرة * غرة جبهة الزمان والمحمودة بكل شفة ولسان * والدة الهامى باشا ساكن الجنان التى فاقت على أترابها * بفضائلها وآدابها * وبذلها ونوالها وصلاحها وكمالها * وكنت قد سمعت باوصافها الحميدة * فقدمت لها نسخة بالخط من هذا الكتاب مع هذه القصيده * عن يد فخر الذوات وأكابر السادات * وكيل دوائها * ورئيس دائرتها * سعادة أحمد مظهر باشا * بلغه الله من الخيرات ماشا

ألا يامن حوت حسن الصفات * وشاع صلاحها فى الكائنات
ومن أضحت بمصر اليوم ملجا * وبدرا فى الليالى المظلمات
ومن خضع الزمان لها وذلت * لهيبتها الاسود الضاريات
اليك قصدت عن ثقة لاهدى * كتابا من نفيس مؤلفاتى

بديع الحسن لم ينشبه غيرى * من الادباوسادات الرواة
وقد زينته وجمعت فيه * مآثر كالنجوم الساطعات
مآثر من تولى تخت مصر * من العظما وأفرا دالولاة
صرفت بجمعها زمنا طويلا * وكانت قبل ذلك فى شتات
فارجوان يصادفه قبول * ويحظى اليوم منك بالتفات
فمن لسواك نقصد فى البرايا * وأنت بمصر بحر المكرمات
ملاذ الوافدين من اليتامى * وكنز القاصدين من العفاة
تقر بفضلك الشعراوتثنى * عليك الناس من كل الجهات
فحاشا ان يخيب لديك راج * ويشكو من صروف النائبات
فلازالت لاهل الفضل كهفا * على طول الزمان مدى الحياة
وأمرك نافذ بين الرعايا * ومجدك فوق هام النيرات

فصادف عندها القبول والاقبال * وغمرتنى بجزيل الانعام والافضال * حفظها الله تعالى وأبقاها * ومن حوادث الدنيا وقاها * هذا وانى فى غاية الممنونية * لصاحب الفتوة والحمية والهمة العلية * محافظ سراية دولتها * ورئيس أغوات سرايتها جناب الاديب الماجد * المتحلى بحلل الكمال والمحامد * فيروز أغا المحترم * حفظه وصانه بارئ النسم * فانه من أجل أدباء العصر * وله يليق المدح والشكر * واستمر حضرة عباس باشا بالولاية نحو خمسة أعوام * ممدوحا من الخاص والعام * الى أن أدركه الاجل

فانتقل

فانتقل الى رحمة الله تعالى عز وجل * وتولى بعده الهمام الفريد صاحب الصيت الحميد * والرأي السديد * الذي خضعت له ليوث البيد * وذلت لديه الفرسان الصناديد * جناب عمه محمد سعيد

﴿الباب السابع عشر﴾

ذكر ولاية حضرة محمد سعيد باشا الخديو الرابع
وما أجراه في الديار المصرية
من الاصلاحات ذات الفوائد والمنافع

هو الكوكب الباهر * وبحر الكرم الزاخر * وفخر الاوائل والاواخر * الوارث رتب المجد كابرا عن كابر * والناهض برفيع نسبه لاعلى ذرى النجوم الزواهر * وفيه يقول الشاعر

تباهت مصر وابتهج الصعيد * بدولة من هو الملك السعيد
وماج النيل من طرب ولكن * به حسد له مما يجود
همامي مصر رحمة كل أرض * بها يخضر في الارياف عود
عزيز قد تسلسل من عزيز * فكان لاصله المجد الوطيد
تجدد مجده اذ كل يوم * يجدده سبب جديد
علمنا أنه سلطان مصر * وكل رجال مصر له عبيد
ونعلم انه ركن عظيم * لملك المسلمين غدا يشيد
لقد سعدت به مصر ونالت * بدولته السعيدة ما تريد

لكل الناس عيد كل عام * وفيها كل يوم منه عيد

تسلم زمام أحكام الديار المصرية * سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية * فرفق بالرعايا * وعدل في القضايا * وجرد الهمة السامية * والعزيمة الماضية * في نجاح العباد * وتزيين البلاد واتفق في هذا الاصلاح والنظام * آثار آبائه الكرام * حتى صارت بهمته المنيفة * وحسن مساعي حضرته الشريفة مستنيرة الآفاق * دائمة الاشراق * وكان جوادا كريما * عاقلا حازما حليما * وفي أفعاله مدبرا حكيما ذا حزم وفراسة * ومعرفة باحوال السياسه * وفضلا عن بصيرته في الامور السياسيه * له بصيرة عظيمة في علم العربيه * واللغات الافرنجيه * وهو الذي زين طريق المشيه وجعلها من المتنزهات البهيه * وأنشأ التلغراف والطريق الحديد * من مصر الى الاسكندريه * وفي أيامه تحسنت الاحوال * وكثر الغنى وازدادت الاموال * ومن مزاياه الحسان * تنظيم لائحة الاطيان الجاري عملها حتى الآن * قد أودع فيها جملة روابط وبنود * حسما للنزاع فجاءت طبق المقصود * وهو الذي سن الخفارة في البلاد * لحفظ الأموال وسلامة العباد * ورتب للخفراء على الناس جامكية * بموجب لائحة من طرف الحكومة السنية * وبهذه الوسيلة حصل الأمن والامان * والراحة والاطمئنان * في كل جهة ومكان * حتى صار المسافر يحول بماله وحشمه

لايخاف

* لا يخاف الا الله والذئب على غنمه * ومن مساعى حضرته * وعنايات دولته * التى تستحق ان تكتب * بماء الفضة على صفائح الذهب * المشروع الجسيم * والقصد العظيم * وهو وصل البحر المالح ببحر القلزم * الذى كان شرع فيه الملك نيخو من الفراعنة والملك دارا من العجم * قيل وقد كان سد فى تلك الاحقاب * لسبب من الاسباب * ولما تملكت الفرنساويه * الديار المصريه سنة ١٧٩٨ مسيحيه * تذاكروا فى هذه القضيه * ذات المقاصد الخيريه * فلم يتم لهم ذلك المراد * لعدم تمكنهم فى البلاد * واذ كان هذا الامر من أعظم الامور أهميه * واعمها فى المنافع والفوائد التجاريه * استدعى حضرته لهذا المشروع الحميد شركة الفرنساويه وصار ارسال صاحب الفتوة والحميه * والاوصاف السنيه * المهندس الشهير * والحاذق الفطن الخبير * موسيو دولسبس لنناظر الاعمال * على أحسن حال * وأتم منوال * وبالجملة فان جميع أعماله محموده * ومآثره ظاهرة مشهوده * لا ينكرها انسان * ولا يقوم بحق شكرها لسان * ولا تحتاج الى دليل ولا برهان * وكان مع هذه الاوصاف الحميده * والمناقب الجليلة الفريده * فى غاية الرقة واللطف * جامعا بين الباس والظرف * ممدوحا محمودا جميل الخلق مسعودا * سالكا سيرة الخلفاء الفاضلين * والملوك الراشدين العادلين * متمسكا بتقوى الله رب العالمين * يحب

العلماء والشعراء * ويكرم الادباء والفضلاء * ويمدهم بهباته الوافره * وصلاته الجزيلة المتكاثره * وكان قد شرف بيروت المحميه * سنة ألف وثمانمائة وتسع وخمسين مسيحيه * فكان لحلوله فيها يوم عظيم الشان * لم يسمع مثله من قديم الزمان * ومما يستحق العجب * انه كان حيثما ذهب * ينثر في طريقه الذهب * فكانت الناس تزدحم عليه * وتلتقط من حواليه * وتعجب من عطائه * وفرط جوده وسخائه * وتدعو له بطول العمر * وتطنب في الثناء والشكر * وقد وصف فقال * من شاهد تلك الحال

يسير والذهب المنثور يتبعه * مثل السماء ترش الارض بالبرد
فظنت الناس ان السحب قد فتحت * بقدرة الله دار الضرب في البلد

وكان قد نزل خارج البلد * في بيت الخواجات بسترس وهم من التجار العمد * ولما تناول الطعام * واستقر به المقام * أقبلت عليه الشعراء * وامتدحوه بالقصائد الغراء * فمن ذلك قول الشيخ ناصيف اليازجي

قد أشرق النور في اكناف لبنان * اذ حل فيها العزيز الباذخ الشان
هو السعيد الذي الطافه اشتهرت * كالصبح مستغنيا عن كل برهان
مهذب فاق في خلق وفي خلق * كانه ملك في جسم انسان

له يليق بساط الريح في سفر * لانه ليس أدنى من سليمان
يبيت كل وزير تحت رايته * طوعا ويصبو اليه كل سلطان
وحيثما حل حامت دوله زمر * كالماء حام عليه كل عطشان
لو تقدر الارض لما زارها فرشت * قدامه الطرق من درّ ومرجان

وقال خليل أفندى الخورى

بشرى لنا هذا النهار سعيد * وافى به يحيي النفوس سعيد
مولى له المجد الرفيع مشيد * فوق العلى والعالمون شهود

ومنها

شرفت بلادتنا فتاهت عزة * وشراع عزلة فوقها ممدود
وغدا حمانا زاهرا ولفخره * في كل حي بالديار حسود
قد كاد يرقص بالسرور وانما * هاب المعالي فاعتراه جمود

وقال أبو حسن افندى الكستى

جاوزت بالصد حدا دونه العجب * على المشوق ولم يعلم له سبب

ومنها

كيف الخلاص ونار الوجد قد لعبت * بمهجتي وتوالى نحوها النصب
وليس لى حيلة أرجو النجاة بها * الا مدائح من سادت به الرتب
عزيز مصر سعيد الوقت ذو شرف * الى علاه تناهى المجد والحسب
انا لنشهد منه كل مكرمة * لها المحامد دون الناس تنتسب

عن وصفه وعز اباه وأذممه * تقاصر الدر والازهار والسحب
مآثر العز في علياه مشرقة * كالشمس لكن سناها ليس يحتجب

وقلت انا العبد الفقير * في مدح جنابه الخطير

هل غير بابك في البرية يقصد * أم مثل فضلك في الخلائق يوجد
أنت السعيد عزيز مصر وربها * ومليكها الفرد الفريد الاوحد
أنت الهمام الماجد المولى الذى * كل البرايا من جنابك تحمد
فقت الاماثل رقة ووداعة * وكرامة لك بالفضائل تشهد
ان قلت قيسا كنت أذكى فطنة * أو قلت حاتم أنت منه أجود
ولقد حويت لطائفا ومحامدا * يفنى الزمان وذكرها لا ينفد

ومنها

شرفتنا فتزينت اقطارنا * وزهت معالمها وطاب المورد
وتنورت بيروت حتى أصبحت * من نور مجدك كوكبا يتوقد

فشملهم بالاحسان والاكرام * وأسبل عليهم ذيل الانعام *
وأقام في بيروت ثلاثة أيام * في سرور وانبساط تام * ثم رجع الى
مصر بسلام * وبعد رجوعه بمدة قليلة * أفاض المواهب
والانعامات الجزيلة * على اصحاب المنازل والبيوت * الذين شرف
دورهم في بيروت * وكانوا قد قصدوه * ونالوا منه ما أرادوه *
تضربت بجوده الامثال * وتعلقت به القلوب والآمال * ومازال في
أرغد حال * وأنعم بال * الى ان انتقل الى رحمة رب العالمين * سنة

الف

ألف ومائتين وتسع وسبعين * وكانت مدة حكمه تقريبا تسع سنين وبقي ذكره مخلدا على صفحات الايام * مدى الدهور والاعوام

رثاه بعضهم بهذين البيتين

ذهب السعيد عزيز مصر طالبا * عرش السماء فسادفي الخالدين
في تربة كتب المؤرخ فوقها * نال السعيد سعادة الدارين

وكان قد رزقه الله ولدا * ما ربت الدايات مثله أبدا * لطيف الذات * حلو الصفات * متصفا بالفضل والكمال * والحسن والجمال * عفيفا أديبا * شجاعا مهيبا * فصيحا لبيبا * وهو جناب الامير طوسون * الذي تفرد بالمعارف والفنون * واشتهر بالجود والكرم * وعلو الهمم * كاشتهار العلم * وكنت عند زيارتي الديار المصريه * سنة ١٢٩١ هجريه * قد سمعت بذكر حضرته ومآثر دولته * وما خصه الله به من الالطاف * ومحاسن الاوصاف * فتشوقت نفسي الى لقاه * وتشرفت بطلعة رؤياه * وقدمت له نسخة من كتابي طبقات الشعراء مع هذه القصيدة في مدح مناقبه الغراء * معرضا بها بذكر والده المرحوم المعظم * الذي برز من عرينه هذا الليث الغشمشم

يمم حمى كعبة الآمال والدين * والهج بمدح وزير المجد طوسون
هو الوزير الذي شاعت لطائفه
من مغرب الارض حتى الهند والصين

رب المفاخر محمود المـآثر قهار الجبابر فى وسط الميادين
أقامه الله ركنا نستعين به * على الحوادث فى أمن وتأمين
تناول المجد ارثا عن أبيه سعيد الذكر من كان ركن المجد والدين
ذاك الجدير والذى عمت مواهبه * كل الخلائق من خاص ومن دون
ذاك الذى كانت الآساد ترهبه * وتختشى بأسه شم العرانين
تجمعت فيه كل المكرمات وقد * تزينت فيه مصر أى تزيين
يفنى الزمان ويبقى ذكر دولته * مخلد الاسم من حين الى حين
ان كان قد غاب عنا نوره ومضى * فقد أنار علينا نور طوسون
هذا وزير العلى المرفوع منصبه * جاها وديوانه صدر الدواوين
هذا الذى اجتمعت فى فضل حضرته * وفيض راحته كل السلاطين
هذا الذى دأبه للناس منفعة * وجبر قلب اليتامى والمساكين
يا مفرد العصر فى لطف وفى أدب * وزينة الدهر فى حسن وتحسين
لا زلت للمجد ركنا غير منهدم * مؤيد العزم فى عز وتمكين
فلما أمعن النظر فيها * وتأمل فى عذوبة ألفاظها ورقة معانيها * وقعت عنده فى حيز القبول وأنعم على باحسن مأمول فشكرت احسانه وفضله * وتحققت جوده وبذله * وعلمت انه من افراد الرجال * الذين خصهم الله بالفضل والكمال و بذل المال * غير ان الزمان * الذى ليس له عهد ولا أمان * ولا يراعى مقام أهل الجود

والاحسان

والاحسان * قد فجعنا بحضرته الآن * ورمى القلوب من بعده باسهم الاحزان * على طول السنين والازمان * وكان لما بلغنى هذا الخبر * شملنى الغم والكدر * وتأثرت كل التأثير * نظرا لجميله وفضله الشهير * فرثيته بقصيدة من أجود الشعر الحسن * وأنا يومئذ فى الوطن * منها هذه الابيات * المستحقة بذكره التسطير والاثبات

زال الهنا والصفا من بعد طوسون * فاى قلب عليه غير محزون
قد كان بدرا منيرا ساطعا لخفى * فيا البدر بطى الارض مدفون
وكان عونا لنا فى كل نائبة * ورحمة لليتامى والمساكين

تغمده الله برحمته ورضوانه * وأسكنه فى أعلى غرف جنانه * وعزى قلوب أهله وخلانه * لاسيما حضرة زوجته الكريمة * والاميرة الرحيمة العظيمه * السيدة فاطمة الفخيمه * ذات المآثر الباهره والمواهب الجزيلة المتكاثره * المتفرعة من الدوحة الزكية الطاهره التى قد شاع فى الآفاق ذكرها * وارتفع فوق السماكين فخرها * صاحبة المجد والاقبال ومعدن اللطف والكمال * من يقول فيها لسان الحال

أميرة من ندى كفيها ماطرة * سحائب الجود والافضال والنعم
تحصى الرمال ولا تحصى مآثرها * وعزها فوق هام المجد لم يرم
تفردت فى الورى بالمكرمات وفى * حسن الصفات فاضحت زينة الامم

فانها كثيرة المواهب والصدقات * ومن أفاضل السيدات المعظمات
فضائلها لا يحصر ولا يعد * وجودها لا يحصى ولا يعد * حفظها الله
تعالى وجازاها خيرا * ولا أراها مكروها ولا ضيرا * ولا زالت
كواكب سعودها زاهره * وسحائب الجود من بذى كفيها ماطره *
ماشعشع القمر * وهب نسيم السحر وانا أسأل الاله الرحمن * ان يديم
لنا وجود حضرة الاميرة العظيمة الشان * عمدة السيدات
المحترمات * وكعبة المكارم والحسنات * اللطيفة الذات * المحمودة
الصفات * التى شاعت فضائلها فى الكائنات * وفاقت بالمواهب
والمكرمات على كل من مضى وفات * زوجة المرحوم المبرور * حضرة
سعيد باشا المذكور * أعنى بها بدر الدجى * وحصن الملجا * من أصبح
الدهر بوجودها مبتهجا * وجاها كهفا وملجأ لاهل الرجا * السيدة
أنجا * فانها جامعة الصفات الجميله * والمآثر الحميدة الجليله *
فكم لها فى الديار المصريه * من المشروعات الخيريه * والآثار الباهرة
السنيه * الصادرة عن حسن الطويه * تكرم الأدباء كما هو مشهور
ومعلوم * وتنفق الاموال الجزيلة لنشر المعارف والعلوم * وكنت قد
قدمت لجنابها المعظم * نسخة من هذا التأليف بخط القلم * مع هذه
القصيدة * عن يد وكيل دولتها صاحب الاوصاف الحميده * الامير
المكرم * والهمام المقدم * سعادة عثمان باشا الافخم * فاستحسنتها
كل الاستحسان * وغمرتنى بجزيل الانعام والاحسان

سل الفضائل يوما عن مزاياها * واستخبر البدر عن أوصاف معناها
وسل جميع الورى ان كنت جاهلها
تنبيك عن قدرها العالى وتقواها
هذى التى بالتقى والحلم ليس لها
فى الكون بين نساء الارض أشباها
فاقت على حاتم بالجود واشتهرت * بين الملوك عطاياها ونعماها
فيها من اللطف أخلاق مهذبة * هيهات فى غيرها بالساح تلقاها
لو رمت أحصى سجاياها وأحصرها * لما قدرت على ادراك احصاها
وهل اولا فى انجامن يماثلها * فى حزمها ومعانيها وجدواها
أميرة لم تدع فى المجد مكرمة * الاحوتها وباهت كل من باها
نقية درة ذات مطهرة * من معدن اللطف رب العرش سواها
مهيبة فى عيون الناس قاطبة * فالاسد ترهبها والدهر يخشاها
تهوى البدور انها طوعا وتخدمها * مدى الدهور وعين الله ترعاها
لو شاهدت عزها بلقيس ما افتخرت * ولا زبيدة يوما عند رؤياها
باهت بها مصر واضحت بطلعتها * سود الليالى ويوم الخصب بدّاها
يابنت خير كرام الناس من شهدت * بفضلها الخلق أقصاها وأدناها
اليك سفرا لقد أودعته شرفا * فى ذكر بعلك من فاق الورى جاها
أعنى السعيد الذى الدنيا به ابتهجت
من كان فى مصر واليها ومولاها

أودعت فيه من الاشعار أجودها * ومن مآثر أهل الفضل أسناها
يرجوا القبول لديك اليوم سيدتى * اذ أنت أحرى الملا فيه وأولاها
من رام عزا ومجدا ساميا وغنى * من غير فضلك بالأنجا فقدناها
لازلت كهفا لاهل الفضل قاطبة * وكعبة لبنى الآمال تغشاها
هذا وانني أرى نفسي مهما مدحت * ووصفت فى حضرتها وشرحت
لا أقدر أن أقوم بالفرض الواجب * ولا أستوفى بعض ما لدولتها من
المآثر والمناقب * فلا برحت الايام مشرقة بكوكب سعدها والليالى
منيرة ببهاء مجدها * على طول الدوام * ما ناح الحمام * ولاح البدر
التمام

(الباب الثامن عشر)

ذكر ولاية حضرة اسماعيل باشا العظيم الشان * نجل
المرحوم المبرور ابراهيم باشا ساكن الجنان

هو بدر الاكوان * وكعبة المجد والاحسان * والجوهرة الثمينة
فى هذا الاوان * مرغم أنوف الجبابره * معفر جباه الاسود الكاسره
الذي ابتهجت بايامه دولة العرب * وعلا قدر الفضل والادب *
حضرة سيدى ومولاي اسماعيل باشا المشار اليه * من جعل الله
مقاليد الكمال والسيادة طوع يديه * جلس على سرير القاهرة وبلغ
القصد والارب * وارتقى فى المعالى الى أعلى الرتب * فى اليوم الثامن

والعشرين من رجب * سنة ألف ومائتين وتسع وسبعين هجريه * الموافقة لسنة ألف وثمانمائة واثنين وستين مسيحيه * فتباشرت الناس بولايته * وقدمت الشعراء المدائح والتهانى لسيادته * ولله در القائل فى حضرته

يامصر قاهرة الدنيا بسطوتها * قد جدد الله من أيامك الاول
دار الخلافة عادت فيك قائمة * كما اقتضت حكمة الرحمن فى الازل
قد كان فى مصر نيل واحد قدما * فزادها الله نيلا مطفى الغلل
قام المظفر اسماعيل منتصبا * فى عرشها كقيام الشمس فى الحمل
لاحت طوالعه فيها فقلت لها * يا أسعد الارض هذى أسعد الدول
هذا العزيز ابن ابراهيم نسبته * تصاغ من أولياء الله والرسل
فيها الخليل واسماعيل قبلهما * محمد جاء مضموما اليه على
هذا ابن من صيته قد طار منتشرا
فى الشرق والغرب مثل السبعة الطول
لوكان فى أرضنا طرق الى زحل * كان انتهى صيته منها الى زحل
واليوم قد قام اسماعيل يخلفه * فى الحزم والعزم بين القول والعمل
كانت شمائله كالزهر نافحة * وانتحت من جناها صفوة العسل

فسلك السيرة المرضيه * وجرد الهمة العليه * فى تز بين الاقطار المصريه * بالابنية الجميلة * والمشروعات الخيريه * فما شرع به

وأنشاه حفظه الله وأبقاه * ورفع مجده وسناه * اقامة المنارات فى
البحر الاحمر * لوقاية السفن من الخطر والضرر * واصلاح الطرق
والترع * وتحصين الابراج والقلع * وادخال مجارى المياه لمصر
وايصال التلغراف للسودان وجهات القطر * واعادة دار الطباعة
ببولاق * لانتشار الآداب فى الآفاق * وتنظيم المجالس * وبنيان
المدارس * ورفع السخرة عن الفلاحين * وتأسيس معامل الورق
والكراخين * ولا سيما طريق السودان الحديديه * التى هى من
أعظم المشروعات الخيريه * لتسهيل سبل التجارة وانتشار المعارف
بين تلك الشعوب والطوائف * الذين استباحوا المعاصى واستحلوا
المنكرات * وصرفوا زمانهم بالحروب والغارات * وهو الذى بنى
مدينة الاسماعيليه * وزخرف حديقة الازبكيه * ذات المحاسن
والمناظر البهيه * جلب اليها من كل أنواع الأشجار * وأجرى
فى خلالها الجداول والانهار * وزينها بنغمات الموسيقى وأنواع
الالحان * حتى صارت كفردوس الجنان * يا أيها المتفرجون من
أبعد مكان * وأباحها الكافة الناس * من جميع الاجناس * يجولون
فيها فى الليل والنهار * يسمعون الغناء ويتناقلون الاخبار * فهنيئا
لكم يا شبان مصر * وطوبى لكم يا ظرفاء العصر * على هذه
المنتزهات والفرج * التى تزيل الغموم وتنعش القلوب والمهج
ومن فضله الأنور * احداث وابور النور * الذى سطعت أنواره

يه الباهره * فى الاسكندريه ومصر القاهره * فاسفر نورهما
بعد الظلام واستنارا * وصار ليلهما نهارا * وبذلك أمن التجار
فى حوانيتها وأرباب الصنائع * من شر اللصوص فى الاسواق
والشوارع * ومن جملة مساعيه التى تستحق الذكر جيلا بعد جيل
وما أظهره من مزيد الهمة فى دفع اضرار النيل * الذى كان قد زاد
فيضانه سنة الف ومائتين واحدى وتسعين * دون باقى الاعوام
والسنين * حتى كاد يبتلع السهول * ويطوف على القرى والحقول
ولولا عناية دولته * والتفات حضرته * لعم بلاه * وزاد شره وأذاه
وأضر بالمزروعات * وعطل المواسم فى أكثر الجهات * فبادر جنابه
بالعجل * وأرسل لهذا العمل * نحو مائتى الف نسمه * من الفعلة
والخدمه * لصد هجمات مياهه المتراكمه * ودفع عزم أمواجه
المتلاطمه * بفتح الترع الوسيعه * واقامة الحواجز المنيعه * وبعد
بذل الجهد * ومقاساة التعب والكد * ارتفع الضرر * بعد ذلك
الخطر * وأصبحت البلاد فى أمان * من هول ذلك الطوفان * وهذا
العمل حمل أكثر الناس * ان يصنعوا لحضرته تمثالا من النحاس
ينصبوه فى مدينة الاسكندريه * اظهارا لحاسيات الشكر
الممنونيه * وتذكارا مابدا من حضرته السنيه * وهمته العاليه *
من السعى والاجتهاد * فى كف الضرر عن البلاد * ومن مساعى
حضرته الجليله * وعنايات دولته الحميدة الجليله * التى تستحق أن

تذكر * وصل بالبحر المالح بحر الاحمر * الذى كان قد شرع فيه
على أتم كيفيه * وأحسن حيثيه * حضرة المرحوم المبرور * سعيد
باشا صاحب الفضل المشهور * واذ كانت الاحكام الربانيه *
والتقادير الرحمانيه * أمر الابد منه * ولا سبيل عنه * وكان وقتئذ
قد حان القدر المقدور * انتقل الى رحمة ربه الغفور * تغمده الله
بالرحمة والرضوان * وسقى ثرى رمسه غيث النعم من أعلى غرف
الجنان * ثم لما اكمل هذا المشروع وتم * فى أيام حضرة اسماعيل
باشا ولى النعم * استدعى من أورو باجميع الملوك وعظماء الدول *
لمشاهدة نجاز هذا العمل * وأعد لهم فى ذلك المقام * كل ما يلزم
من مزيد الاكرام * فحضر بعضهم الى هذه الواقعة البهيه * وشكر
كل حسن مساعيه السنيه * والذى لا يمكنه الحضور * اما العذر
واما القصور * أرسل أحد نوابه * لمقابلة رفيع جنابه * فاستقبلهم
أحسن استقبال مستطاب * وحلوا عنده محل القبول والترحاب
وقد ابتهجت نواظرهم * وانشرحت صدورهم وخواطرهم * بما
شاهدوه من حسن الترتيب والنظام * وما انطوى تحت ذيل
مشروعاته من مزيد العناية والاهتمام * وكان قد أعد لهم وليمة من
أفخر الولائم * ما سمع بمثلها قط بين الاعارب والاعاجم * تطيب بها
الخواطر والانفاس * وتسطع حولها لوامع أنوار الجلاس * حتى
كانت بهجة للنواظر * ونزهة للخواطر * لعمرى انه بحر المكر

الزاخر

خاء طبق المرغوب * جلس متعه الله بالعز والاقبال على كرسي
الخديوية المصريه * في اليوم السابع من شهر رجب سنة ست
وتسعين ومائتين والف هجريه * بعد انفصال حضرة والده عنها
لاسباب لا أستطيع ذكر شئ منها * فكان ذلك خيرا والخيرة في
الواقع * ولو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع * آلت لحضرته
بنص فرمان الوراثة الاخير * الذى يشير بانحصارها في الابن
الكبير * من أولاد ولي الأمر * واستمرارها كذلك مدى الدهر *
تخلق باخلاق الخلفاء العادلين * وأتقن قواعد الرياسة بالحزم
والرأي المتين * وقلع اساس المبتدعين * وقطع دابر الملحدين * ونفى
جمال الدين الافغاني * ذلك الملحد الجاني * وفي أيامه تشيدت دعائم
الدين وقويت عصابة الموحدين * وعمرت المعابد والمساجد * وكثر
الراكع والساجد * اذ الناس على دين ملوكهم * يقتفون آثارهم
في أعمالهم وسلوكهم * فأقسم بالله وآياته * ومشعر الحج وميقاته
انه لم يقم في مصر ملك مثله * يحامى عن الدين ويعظم أهله *
يقابل الناس بوداعة النفس * ويواظب على الصلوات الخمس * قد
صلى الجمعة الاولى من جلوسه في جامع سيدنا الحسين * ابن بنت
المصطفى امام الحرمين * ومن محاسنه العظيمه * ومكارم اخلاقه
العميمه * التي تستحق الذكر * على مدى الدهر * تخفيف رسم
التذاكر * المفروض على كل مسافر * من الوافدين الى هذه

الديار * من جميع النواحي والاقطار * بعدان كان يؤخذ من كل
انسان * سبعون غرشا بلا زيادة ولا نقصان * فازالها الى ثمن هذه
القيمه * وهذه رحمة عظيمه * ومنة جسيمه * وفي أيامه تعدلت
جباية الخراج * على أحسن اسلوب وأقوم منهاج * وتقسطت على
كل انسان * بحسب ما علك من الاطيان وذلك بموجب حكم وقرار
يدوم على مدى الاعصار * فامسى الفلاح مطمئن البال * بعدان
كان يقاسي الاهوال * وأشد المشقات الثقال * من جباة الاموال
لا التزامه اقتراض النقود * من صيارفة الافرنج واليهود * تحت
ربا فاحش ومتاعب غير قليله * حتى يتخلص من تلك الورطة الوبيله
فجزى الله الخديو خيرا * ولا أراه في أنجاله يوما ضيرا * وأحسن له
العاقبة في الحال والمآل * كما أراحنا من ثقل تحصيل الاموال
وهذه يا صاح * وسيلة النجاح * فانها من أهم الامور الكبار
لتحسين البلاد وتقدم العمار * ويكفيه من الفضائل تسوية
الديون السائره * بعدان كانت اربابها مضطربة حائره * وذلك
لعدم دخولها تحت قاعده * وتأخير دفعها من الحكومة بلا فائده
فجمع أسعده الله نواب الدول * وعقد مجلسا لم يسبق في عهد الاول
حصرت به الديون المبريه * على طريقة عادلة مرضيه * وتعدلت
ميزانية الصرف والايراد * بالحالة الممكن بها السداد * ورتب
قانونا للعساكر الجهاديه * حدد لهم فيه التعيينات الشهريه * و

يلزمهم من النفقات والجامكيه * وحصر عددهم برأيه السديد بحيث لا ينقص ولا يزيد * ومما أجراه من العدل والانصاف ارجاع ما كان مأخوذا من أموال الاوقاف * ومن بيت مال المسلين ومن الايتام والمحتاجين * وصرف لكل ماله وما كسب * ورفع المظالم والكرب * وكان سببا لرجوع الثروة الى مصرنا * فزال الفقر وكثر الغنى * وبلغت الناس غاية المنى * بعد التعب والعنا فلله دره من بطل همام * وليث باسل ضرغام * على هذا الاعتناء والاهتمام * الذى لم يسبقه عليه أحد من الملوك والحكام * وكنت عند جلوسه على كرسى الولايه * امتدحته بقصيدة بلغت من الحسن النهايه * منها هذه الابيات * وقاه الله شر النائبات

ثغر المعالى قد بسم * والقطر شعشع وانتظم
والعدل وافى مقبلا * والظلم ولى وانهزم
والخير أصبح دافقا * والناس أمست فى نعم
وديار مصر تزينت * لما خديوينا حكم
توفيق باشا من غدا * فخر الخلائق والامم
ما قام وال مثله * بين الاعارب والعجم
خضع الزمان لامره * وأطاعه فيما رسم
بشرى لكم يا أمة الاسلام فى هذا العلم

هـذا الذى فى حكمه * ترعى الذئاب مع الغنم
ويحسـن مشر وعاته * أحيا البلاد من العدم
غوث الفقير المنصف الـ * مظلوم ممن قد ظلم
ليث العدى غيث الندى * نور الهدى بحر الكرم
حاز الفضا ئل كلها * وجميع أسرار الحكم
وسما بهمتـه عـلى * أهل المعالى والعظم

وهى قصيدة طويلة * ضمنتها أوصاف حضرته الجميله * وبالجملة فان فضائله لا تنكر * وألطافه لا تعد ولا تحصر * فنسأل الله أن يديم أيامه وعدله * وان يكثر فى ولاة الامور مثله * فحدث باصباح عزاياه وافتخر * وقل ان جناب خديوينا للفضل مبتكر * يلتقى الوفود بالبشر والترحاب * ويحادثهم بالحكمة وفصل الخطاب ولقد حظيت بالمثول بين يديه عدة مرار * وشاهدت طلعته المشعشعة بالانوار * وسمعت ألفاظه العذبة الشهيه ومعانيه السامية السنيه * فوجدت فيه من الحلم وكرم الاخلاق * مالم يوجد فى غيره على الاطلاق * وهو مع هذه الرتبة العليه * لا يفتر عن صوالح الرعيه والاعتناء بالمشروعات الخيريه * ونشر الشرائع والاحكام الدينيه قد أتقن اللغة التركيـة والفرنساويه * وترقى فى اللغـة العربيـه وباقى الفنون الادبيه * الى أعلى درجة سنيه * يحب العلماء الفاضلين ويقتفى آثار الصالحين ويفق أمواله عـلى الفقراء والمساكين

فهنيا

تهنيا لمصر بهذا العزيز * الذى رفع مقام الكتاب العزيز * وآتانا
بعدل عمر بن عبد العزيز * وكنا لا نعرف العدل الا فى التواريخ والسير
وها هو بيننا اليوم قد ظهر وانتشر * ولقد اتسع بيمنه نطاق العلم
والمعارف * وازدادت الارزاق وكثرت الوظائف * وظهرت الجرائد
ناقلة الاخبار * فى أقطار الديار * واضاء الوطن بكوكبها واستنار
وانتشرت وقائع الطائف فى الاسكندرية والمحروسة * وكانت مصر
من عهد الاهرام غير مأنوسة * وثبت تقدم عصرنا الجديد بالدليل
والبرهان * وازدهت مصر بها على باقى الممالك والبلدان * ومن
جملة مشروعاته تأسيس الجمعيات * لقيام المدارس وتوزيع الحسنات
ودفن الفقراء ومعالجة المرضى فى المستشفيات * تحت ادارة
الكوكبين النيرين * والاسدين الضرغامين * حضرتى نجليه
الاميرين العظيمين * وهما الامير عباس والامير محمد على * صاحبا
المجد والقدر العلى * أولاهما ولى العهد سمى جده * وثانيهما
نعم الكريم مفتخرا بمجده * فالى عباس البطل الاغلب * المقاصد
الخيرية تنسب * لانه همام أديب مهذب نائبه وزير فى العلى سامى
اسمه محمود وهو لقطرنا حامى * ناظر الجهادية والبحريه * ذو الهمة
العليه * والفصاحة والقريحة الذكيه * ولمحمد على بتوفيق أبيه
الخيرى جمعيه * أساسها مقبل بحسن التوجهات الخديويه * وقانونها
جامع لفعل الخير والبر * مؤلفة من اعضاء ذوى فضل وقدر * والفقير

من أول مؤسسيها ولا فخر * ولما صدر الامر على قانونها بالقبول صنعت ليلة أنس حضرها الادباء الفحول * يقدمهم الاديب الفاضل * والخطيب الذى ليس له مماثل * عبد الله أفندى نديم الخطابة * وتلميذه نبيه تلوح عليه دلائل النجابه * وتعززوا بأديب من بنى اسحق * الذى شاع ذكره فى الآفاق * وكان ذلك بحضور من العلماء والذوات الاكابر * والبعض من الباشاوات أرباب المناصب والمفاخر * فافتتح الخطبة نديم أفندى المذكور * وأبدى لنا من فصاحته ماحير عقول الجمهور * ثم أعقبه أديب * وأتى بالعجب العجاب * من فصاحة الخطاب * والحديث المستطاب * حتى انبهرت الافكار والالباب * ثم عاد النديم ودعا التلميذ للخطابه * فلباه طوعا وبادر بالاجابه * فوقف وأنواره ساطعه * وشنف مسامعنا بكلماته الجامعه * ولما انتصف الليل وذهب أكثر الحاضرين * وافى ليث العرين * وعمدة العلماء البارعين * صاحب الفضل المبين * والرأى الصائب المتين * جناب الفاضل محمد عبده وكنا لقدومه متشوقين ومنتظرين * فافتتح الكلام بخطبة أديبه * ضمنها من الوقائع المصريه * والالفاظ العذبة الشهيه * ماشفى العليل * وأروى الغليل * وعاد الاولون للقول بالتكرار * حتى خلنا أن الفجر استنار * ودعا الجميع لخديوينا بالتوفيق والاقبال * مع أمراء العساكر وقواد الابطال حتى

تخيلنا هيئة أوروبا في بلادنا * وان القوم صاروا عبيدا لنا * كل ذلك بفضل خديوينا المطاع * من اشتهر فضله وذاع * وذكر عدله ملأ السهل والبقاع * ودليل ذا تقدم الجمعيات والعلوم * ولا ينكر الحق الا كل غاشم ظلوم * فنسأل الهنا رب الناس والخضر * أن يديم الملك في عقبه مدى الدهر

(فصل)

في ذكر أقاربه الاعاظم * اصحاب الفضائل والمكارم

فمن أقاربه العظام * الذين زهت بوجودهم الليالي والايام * وشهدت بفضلهم سادات الانام * كل همام موصوف * وبدر تم لا يعترى أشعة مجده خسوف * أولهم شقيق حضرة الخديو الامير محمود * قهار الاسود * ومعدن اللطف والجود * حفظه وصانه الاله المعبود * وبعده نجلا المرحوم أحمد باشا عمه الاكبر اللذان فضلهما بين الناس لا ينكر * وهما الاميران الشهيران والبدران المنيران * دولة ابراهيم باشا صاحب الجاه والفخر وأخوه أحمد باشا غرة جبين هذا العصر * أيد الله بالعز أيامهما ونشر على هام المجد أعلامهما * ثم أنجال عمه المرحوم مصطفى باشا فاضل * الذى كان مصدر المكارم والفضائل * ويعجز عن وصف مآثره كل قائل * أكبرهم عثمان باشا ونعم عثمان * فاق بحسن

اخلاقه كل انسان * وتفرد بالمناقب الحسان * على الاقران *
ويليه فى الفضل والادب * كامل باشا وهو جدير بهذا اللقب
وابراهيم ومحمد على تمام الاربعه * أرجولهم من المولى زيادة
السعه * وأن يفيض عليهم من جزيل انعامه الخيرات المتنوعه
ومن الاقارب ذوى الارحام * اصحاب الفضل والاحترام * الحائزين
كرم الاعراق دون الانام * أبناء الاميرين الجليلين * والمشيرين
العظمين * أحمد باشا يكن وأخيه ابراهيم باشا قرة العين * أولهم
صاحب الدولة والاقبال * المتحلى بحلل الفضائل والكمال * ليث
النزال * وغيث النوال * الذى لاتحصى مناقبه * ولا تستقصى
مواهبه * بدر البدور * ومدبر أمور الجمهور * المحمود المشكور
من اسمه بالفضل يحيى وهو منصور * لازالت أيامه فى نعيم وسرور
على طول الازمنة والدهور * ولقد قلت فيه * دامت مكارمه
ومعاليه

هذا فريد العصر منصور الذى * باهت به أيامنا والاعصر
فى الحلم معن فى المكارم حاتم * فى الرأى قيس فى الشجاعة عنتر
لازال منصورا على أعدائه * طول الزمان وبالمقاصد يظفر

ثم صاحب العفة والمهابة والفخر الجلى * سمى المرتضى حيدر قدره
على * له همم بين الاقران عليه * ومآثر باهرة سنيه * سيأتى ذكره
مع الوزراء وهو ناظر الماليه * ولقد قلت فيه هذه الابيات * مع

اقرارى

قرارى بقصورى عن حصر ما اتصف به من حسن الصفات

حاز المكارم والمحامد حيدر * وبمدح حضرته اللسان يقصر

الماجد المفضال والسند الذى * كل القلوب له تميل وتشكر

هذا الذى باهى الانام ومن له * فى أمة الاسلام فضل يذكر

بطل تذل له الاسود وتختشى * سطواته كل القروم وتحذر

واذا تفاخرت الكرام وجدتها * فى بابه السامى الذرى تستصغر

ثم جناب خليل باشا الامير الجليل * والحاذق الفطن النبيل

هو للانام صديق وخليل * وليس له فى الاقران من مثيل

يستوى عنده الحقير والجليل * ذو المآثر الحميدة الجميلة * الحائز لكل مكرمة وفضيله * وهو وكيل الداخلية الجليله * ادام الله أيامه * ورفع مجده ومقامه * شعر

فاق الاماجد بالكمال خليل * فله يحق المدح والتبجيل

هذا وكيل الداخلية من غدا * بين الورى سامى المقام جليل

ذو همة علوية وعزيمة * لو صادمت جبلا لكاد يميل

ولا تنس داود باشا فخر الورى * ولا تذكر ما قد جرى * فهؤلاء وباقى اخوتهم الافاضل * حازوا بقرابتهم لحضرة الخديو كل الفضائل وما غاب عن هذه الديار * من آرباب الشرف والافتخار * منهم صاحب الفضل العميم * والخلق الجميل الكريم * جناب محمد باشا

عبد الحليم * ثم باقي أنجال جناب اسماعيل باشا الخديو السابق
الذي شاعت فضائلهم في المغارب والمشارق * وهم الأمير حسين
وابراهيم وعلي وفؤاد وحسن * اصحاب الخلق الجميل والصيت الحميد
الحسن

(الباب العشرون)

في ذكر امراء الحكومة المصريه * أرباب المكارم والمآثر السنيه
أولهم الوزير الشهير * والقمر الباهر المنير * الذي فاق بمآثر
كل أمير ووزير * وسما على الاقران وارتقى رتبة المشير * صاحب
الدولة والاقبال * محمد شريف باشا الهمام المفضال * مناقبه لا
تحصى ولا تعد * وشرف نفسه اشتهر وفاق الحد * وهو معرر باسته
للنظار ونظارته للداخليه * له التصرف العام في جميع الحكومة
المصريه * اسأل الله ان يحفظه ويبقيه * ويزيد في سمو معاليه
ومما قلت فيه

هذا الشريف الذي الرحمن شرفه * وخصه بجميل الخلق والشيم
وقد تفرد في حسن الصفات وقد * فاق الاماثل في حزم وفي همم
وقام في مصر هذا اليوم منتصبا * للحق والعدل والانصاف والكرم
عناية الله ترعاه وتحفظه * مدى الدوام بعز غير منصرم

ومنهم

صاحب رتبة الصديق * وأفضل من تولى نظارة المالية على

التحقيق * سعادة حيدر باشا يكن محبوب جميع المصريين وأكابر أهل الوطن * تقدم ذكره مع أقارب خديوينا المحترم * حفظه وصانه بارئ النسم

ومنهم

الامير الماجد * مصدر الفضائل والمحامد * ذو الرأى السديد والبطش الشديد * الذى خضع الزمان لامره * والهجت الالسنة فى مدحه وشكره * البطل الهمام * والشجاع المقدام * الرفيع المقام * الحامى القطر يوم الصدام * بحد الحسام * صاحب الهمة العلية * والاوصاف الحميدة المرضيه * سعادة محمود باشا سامى ناظر الجهادية البرية والبحريه * وقد تقدم ذكره فى الكلام على جمعية المقاصد الخيريه * وقاه الله شر كل بؤس ورزيه شعر

تهيم بذكر محمود البرايا * على ما فيه من حسن السجايا
أشد الناس فى الهيجاء بأسا * وأعلى همة وأسد رايا
اذا شهد القتال وكر يوما * اذاق عدوه كأس المنايا

ومنهم

عمدة الامراء الكرام * وخلاصة الكبراء العظام * من زهت بنور طلعته الايام * وشمل انعامه الخاص والعام * فريد العصر والاوان * ومعدن الفضل والعرفان * الذى تحلى بحسن أوصافه

بطون الدفاتر * وتخضع لهيبة عزه الاسود الكواسر * سعادة محمد
قدري باشا ناظر الحقانيه * حفظه وصانه رب البريه * شعر
همام قد حوى لطفا وظرفا * وفاق الناس فى جاه وقدر
وقد شاعت فضائله جهارا * كضوء البدر فى الافلاك يسرى

ومنهم

بدر المعالى * وفخر الموالى * المحبوب فى جميع الاهالى * من اتصف
بالفراسه * وحسن السياسه * صاحب الهمة العليه * سعادة
مصطفى باشا فهمى ناظر الخارجيه * حفظه الله ووقاه * وزاد فى مجده
وعلاه

ومنهم

الهمام العارف * بحر المعارف * وكنز اللطائف * صاحب
الاوصاف البديعه * والمرتبة السامية الرفيعه * سعادة اسمعيل
أيوب باشا * بلغه الله من الخيرات ما شا

ومنهم

الهمام المكرم * والشجاع المقدم * صاحب المحاسن والالطاف
سعادة زكى باشا ناظر المعارف والاوقاف * حفظه الله وبارك فيه
وبلغه ما يتمناه ويرتضيه

ومنهم

فخر الذوات * الحميد الصفات * أخى بصاحب الاخلاق الزكيه

ورئيس كتاب الحضرة الخديويه * الهمام الموقر المفخم * سعادة طلعت باشا المكرم * لازالت أنوار ألطافه عابقة ساطعه * ولا برحت شموس عوارفه فى فلك السعادة شارقة طالعه

ومنهم

الأمير الخطير * والبدر المنير * ليث المعامع * وقهار المواكب والطلائع * بسيفه الماضى القاطع * فى ساحة الوقائع * الذى ليس له فى الفروسية من منازع * سعادة ذو الفقار باشا تشريفاتى الحضرة الخديويه * لازالت أيامه فى سرور ورفاهيه

ومنهم

الحسام البتار * والبطل القهار * سامى المجد والفخار * وزينة الامراء والنظار * الذى شاعت فضائله فى الاقطار * وكرعت من مناهل صافى جوده العبيد والاحرار * سعادة خيرى باشا المهردار حفظه الواحد القهار

ومنهم

البطل الهمام * وليث الصدام * صاحب القدر العلى * سعادة أحمد باشا الدراملى * لازال محروسا محفوظا * وبعناية الله مؤيدا ملحوظا

ومنهم

فخر الامراء والاعيان * وصاحب الفضل والاحسان * الذى

شاعت ألطافه فى كل مكان * ولهج بمدح جنابه كل انسان * سعادة حسين باشا الدراملى حفظه الاله الرحمن

ومنهم

البطل المغوار * والاسد الكرار * صاحب البطش والاقتدار والجاه والاعتبار * الذى اشتهر بالكرم ومحاسن الآثار * وافتخرت به مصر على جميع الاقطار * مصطفى باشا الخزندار * حفظه الاله الجبار * على مدى الدهور والاعصار

ومنهم

الهمام الاكرم * والليث الضيغم * المحمود بين جميع الامم * المتصف بالاستقامة وعلو الهمم * سعادة محمد توفيق باشا الافخم * حفظه بارئ النسم

ومنهم

البطل الصنديد * ونخبة الامراء الاماجيد * صاحب البطش الشديد * والرأى السديد * سعادة أحمد باشا رشيد * لازال مقامه فى علو ومزيد

ومنهم

الامير الجليل * صاحب الخلق الجميل * والفضل الجزيل * سعادة ابراهيم باشا خليل * أدام الله رفيع مجده * وزاد فى عزه وسعده وأقر عينه بمحمود بك نجله وجعلهما فى عز واقبال * مدى الايام

والليال

ومنهم

نخبة الامراء الكرام* وزينة الليالى والايام* صاحب الجاه والاحترام* من يباهى به الدهر* وتفتخر به ديار مصر* الاسد الغشمشم* وبحر الجود والكرم* الجامع بين شرفى السيف والقلم سعادة على جلال باشا الافخم* نجل المرحوم المبرور* أحمد باشا المنكلى المشهور* حفظه الاله الغفور* ولازالت أيامه فى عز وسرور

ومنهم

عمدة الامراء الافاضل* وخلاصة الكبراء الاماثل* من اتصف بعلو الهمة وحسن الدرايه* سعادة راغب باشا لازال محروسا بعين العنايه

ومنهم

الهمام المفضال* البليغ المقال* المتحلى بمحاسن الخصال* بدر الديار المصريه* ومحيي العدالة الكسرويه* الذى تعطرت البلاد من حسن سيرته* وشاعت فى الاقطار لطائف حضرته* سعادة عمر باشا لطفى محافظ الاسكندريه* أطال الله عمره ووقاه كل شر وبليه

ومنهم

الهمام المحترم * صاحب البند والعلم * وبحر الجود والكرم * سعادة ابراهيم باشا أدهم * حفظه الله تعالى * وزاده عزا وافضالا

ومنهم

الليث الاروع * والبطل السميدع * قهار الجبابرة الغطاريف * وصاحب القدر السامى المنيف * سعادة على باشا شريف * لازال محروسا بعناية ربه اللطيف

ومنهم

ذو القدر الرفيع * والخلق الجميل الوديع * الذى فاق على اقرانه * بحسن سياسته وقوة جنانه * صاحب الهمة العليه * والممدوح من جميع البريه * سعادة حسن بك فهمى مدير المنوفيه * حفظهم الله جميعا على مدى الاجيال * محفوظين بالسعد والتوفيق والاقبال * وبلوغ المقاصد والآمال * واذ قد فرغت الآن * من ذكر الامراء والاعيان * رأيت أن أذكر المرحوم المبرور * اسمعيل صديق باشا المشهور * لانى كنت وكيل دواته * ورئيس دائرته * ليبقى ذكره مخلدا جيلا بعد جيل * اذ له على فضل وجميل * فأقول كان رحمه الله * وجعل الجنة مأواه * وزير الماليه * وأحد مديرى المملكة المصريه * وديعا كريما * أديبا فهيما لطيفا حليما * ذو رأى وتدبير * وفى أمور الدهر عليم وخبير يكرم الوافد * ولا يصد قاصد * وكان جناب صاحب هذا التأليف

قد مدحه بقصيدة من الشعر النفيس الظريف * فاستحسنها كل الاستحسان * وغمره بجزيل الانعام والاحسان * فاثبت بعضها لحسن معانيها * وعذوبة الفاظها ورقة قوافيها * وأولها قوله

الدهر يزهو والهنا يتجدد

وفيها يهنئه بزفاف نجله البطل المهاب * وليث الغاب * فخر الادباء الانجاب * المتحلي بحلل الكمال والآداب * سعادة مصطفى باشا حفظه وصانه رب الارباب * وزاد في عزه ومعاليه * وجعله خليفة لابيه

مولاي اسماعيل يامن قوله * بين البرايا نافذ ومؤيد
قد جاء عبدك قاصدا ومهنئا * يهدي فروض الواجبات ويحمد
بقران نجلك مصطفى المولى الذي * هو بين أرباب المعارف مفرد
ياحسنها من فرحة وأجله * يوما هو اليوم الاغر الاسعد
يوما به شمس الضحى قد قارنت * قمر الدجى فغدا السرور يغرد
يوما به راق الزمان وزينت * فيه أهالي مصر وعيدوا
شهر تفرد بالمحاسن والبها * والانس واللطف الذي لا يجحد
لازال محروس الجناب معظما * ومظلا بسعادة لا تنفد
ويديم دولتكم على طول المدى * مالاح نجم في السما يتوقد

ومما قلت أنا في مدح عائلته * وفي سعادة أحمد نشأت بك ابن أخي دولته * مهنئا حضرته العليه * بولايته نظارة الدائرة السنيه * بلغه

رب البريه * السعادة الابديه

بشرى لكم يا آل صديق الورى * قد نلتمو رتب المعالى الفاخره
جاءتكم العليا وسدتم مكرما * وعلوتمو شرفا بمصر القاهره
عاد الفخار لكم بنشأت عزكم * لمارقى نظارة للدائره

وسأختم الكلام فى هذا الباب * بالثناء على مؤلف هذا الكتاب
جناب الماجد الكامل * عزتلو اسكندر بك الاديب الفاضل
الذى صرف زمانه بتأليف الكتب والرسائل * ولاسيما فى هذا
التأليف * النفيس الظريف * الذى طالعته واياه * وعاونته على
ماتضمنه وحواه * فان له فيه الذكر الجميل * والفضل الجزيل
حيث أودعه من الوقائع الابراهيميه * والمآثر الباهرة السنيه
المتعلقة بالعائلة المحمدية العلويه * فى بر مصر وأقطار سوريه
ما كان محجوبا عن العيان * ومتروكا فى زوايا النسيان * فكشف عن
وجهها النقاب * وأبانها فى هذا الكتاب المستطاب * باسلوب
أرق من ماء السحاب * ينعش القلوب ويطرب الآذان * وتصبو
اليه نفوس الانس والجان * جزاه الله خيرا * ولا أراه مكروها ولا
ضيرا * فكم له من مؤلفات مفيده * ورسائل عديده * وكنت قد
وقفت على أكثرها * فمن أجودها واشهرها * كتاب روضة الادب
فى طبقات شعراء العرب * وكتاب نهاية الارب * وكتاب نوادر
الزمان * فى ملاحم جبل لبنان * وكتاب منية النفس * فى أشعار

عنترعبس * وكتاب التحفة الغراء * فى محاسن تونس الخضراء
وكتاب ريحانة الافكار * فى اخبار الملك شهريار * وكتاب
ديوان الدواوين * فى أجود اشعار المتقدمين والمتأخرين * ضمنه
مختارات الشعر * من غزل ومدح ورثاء وحكم وفخر * وكتاب
كأس المدامه * فى تراكيب الدامه * وهو كتاب غريب * جمع فيه
الف لعبة من أنواع الالعاب والتراكيب * ورتبها على أسلوب
مدهش عجيب * لم يسبقه عليه أحد فى هذا الوضع والترتيب *
وجعل الكشف لها جدولا ليهتدى اليها الطالب من قريب * وكل من
كان له ميل ورغبه * أو معرفة فى أصول هذه اللعبه * وله أيضا
ديوان شعر * بين نظم ونثر * وشعره فى غاية الرقة والانسجام
خاليا من الحشو والتكلف وتعقيد الكلام * تكاد تفهمه عامة
الانام * وله فى السجع اليد الطولى * وقد تفرد فيه بهذا المقدار
حتى انه صار يعد من أرباب الطبقة الاولى * ومن كان فى شك
وارتياب * من هذا الشرح والخطاب * فعليه بمطالعة كتابه ريحانة
الافكار * فى اخبار الملك شهريار * الذى اشتهر بين الانام * فى
هذا العام * وقرظه فحول الشعراء والعلماء الاعلام * فيتضح
له صدق الكلام * ولا يخفى ذوى الالباب * ما أودعه فى هذا
الكتاب * من نفائس الحكم ونوادر الآداب * التى لا يجحد
فضلها الا كل معاند * أو عدو وحاسد * ويكفيه انه قد حاز

بالاستحقاق والاهليه * من دولتنا العليه * وباقى الممالك الاجنبيه * على عدة نياشين من رتب سنيه * مع لقب البكويه * كثر الله من أمثاله * و بلغه غاية آماله * وأطال فى عمره * وزاد فى عزه وقدره * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على رسوله محمد الامين * وعلى آله وصحبه أجمعين * وسلم تسليما الى يوم الدين

﴿خاتمة الكتاب﴾

قال مؤلفه هذا آخر ما اعتمدت عليه * وأمكننى الوصول بعد الجهد اليه * مما شاهدته بعيانى * وتلقفته عن افواه أبناء زمانى * من الحوادث المصريه * والفتوحات الشاميه * المتعلقة بالمآثر الخديويه * وابراهيم باشا صاحب الهمة العليه * ولا يخفى ما كابدته فى نقل اخبارها * وجمعته من وقائعها ومحاسن آثارها * بمعاونة جناب الهمام الاوحد * والحسام المهند * الذى لا ينكر فضله ولا يجحد * عزتلو محمد أفندى مكاوى الامجد * فكانت كعروس ما مثلها عروس * وريحانة تنتعش بها القلوب والنفوس * وأنا اسأل الاله الرحمن * العفو والاحسان * والمغفرة والرضوان * من السهو والنقصان * وعثرة اللسان * انه كريم منان

تم بالمطبعة لوهبية سنة ١٢٩٩ هجريه

